جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

القيم الأخلاقية والجمالية في حوار حمير مع أبنائه

إعداد
د/ حسام عوض الله على الشامي
مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

(العدد الخامس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. أكتوبر)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)

علمية - محكمة - نصف سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

القيم الأخلاقية والجمالية في حوارحمير مع أبنائه.

حسام عوض الله علي الشامي

قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، إيتاي البارود، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: hosamalshamy.2034@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى الكشف عن جماليات القيم الجاهلية من منظور بلاغي يلقي الضوء على محاسن الصياغة وجودة التركيب ودقة السبك؛ بما يُقربنا من ملامح هذه القيم في الذهن الجمعي آنذاك، ويكشف زيف مقولات باعثة على صدِّ الجيل الحالي عن قراءة تراثه، بحجج واهية لا تتصل بالواقع، كالقول بصعوبة لغتهم، وتعقد تراكيبهم، وفطرية خيالاتهم وصورهم، ووسمهم بالهمجية وتردي الأخلاق إلى غير ذلك من الدعاوى التي لا هدف لها سوى الاستهانة بالجيل المخصوص بنزول القرآن، وبعثهم في صورة هزيلة لا ترقى إلى مسألة التحدي، وتسلبهم القوى البيانية التي أجمع عليها منصفو علماء الأمة ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع أمور من أهمها: قلة الدراسات البلاغية التي عنيت بالنثر الجاهلي فيما أعلم، وإرساء دعائم الحوار الناجع بين أفراد المجتمع بعيدا عن التعصب والعنصرية بغية ترسيخ المفاهيم ، وتثبيتها في نفوسهم، وكذامعرفة الفروق الدقيقة بين الألفاظ، وتناسب المعاني، وترتيبها في النفس، والبناء الممتد في أطراف المحاورة، وأيضا الكشف عن نفسية المجتمع الجاهلي من خلال إبراز تلك القيم النبيلة، وتتجلي بلاغة تلك القيم في أسلوب محاورة ممتع يتصدر مشهدها أب مسموع الكلمة له شأن عظيم في العلم والأدب أدار دفة المحاورة، وأولاد نجباء لهم باع في سعة المعرفة، وهنا تؤتي المحاورة ثمارها بعيدة عن التعصب واظهار التفوق، فالهدف من المحاورة إبراز تلك القيم النبيلة، ومن ثم فيتسع المقام لذكر قيم متعددة ممكن أن ترتد إلي قيم أصيلة ثابتة، فيحدث الامتاع وعلو الذوق من قبل المتحاورين، وهنا يتمكن لدي القارئ أن

بلوغهما في العلم والأدب مبلغا عظيما هو هدف المحاورة، وليس الهدف التناحر وإثبات تفوق الذات لأحدهما،وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الفني التحليلي للكشف عن تلك الفروق الدقيقة بين الألفاظ، وانسجام الكلمات، وصوغ العبارات.

كلمات مفتاحية: القيم، الأخلاقية، الجمالية، الحوار، حمير.

Moral and aesthetic values in Hawar Hemiar with his sons.

Hossam Awadallah Ali Al-Shami

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Itai El-Baroud, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.

E-mail: hosamalshamy.2034@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to reveal the aesthetics of pre-Islamic values from a rhetorical perspective that sheds light on the advantages of drafting, quality of installation and accuracy of casting; This brings us closer to the features of these values in the collective mind at the time, and reveals the falsehood of statements that deter the current generation from reading its heritage, with flimsy pretexts that do not relate to reality, such as saying that their language is difficult, the complexity of their structures, the innateness of their imaginations and images, and labeling them with barbarism and deteriorating morals, among other claims that It has no aim other than to belittle the generation that was designated for the revelation of the Qur'an, to send them in a poor form that does not rise to the issue of challenge, and to rob them of the rhetorical powers on which the fair scholars of the nation unanimously agreed. Effective dialogue between members of society away from fanaticism and racism in order to consolidate concepts and establish them in their souls, as well as to know the subtle differences between words, the proportionality of meanings, and their arrangement in the soul, and the construction extended at the outskirts of the dialogue, as well as revealing the psychology of the pre-Islamic society by highlighting those noble values. The eloquence of these values is manifested in an interesting dialogue style, with a father who hears the word, who has a great importance in science and literature, who led the dialogue, and noble children have a great deal of knowledge, and here the dialogue bears fruit. It is far

from fanaticism and demonstrating superiority. The goal of the dialogue is to highlight those noble values, and then the space is wide enough to mention multiple values that can be reverted to authentic, fixed values, so that the interlocutors will enjoy and enjoy high taste, and here the reader can reach them in science and literature a great amount is The goal of the dialogue, and not the goal of rivalry and to prove the superiority of the self for one of them, I have adopted in this research the technical-analytical method to reveal those subtle differences between the words, the harmony of words, and the formulation of phrases.
Keywords: Values, Morals, Aesthetics, Dialogue, Hemiar.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلي الله على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى أصحابه أجمعين وبعد،

فقد نال الأدب الجاهلي اهتمام كثير من الباحثين، لما فيه من قيم فاضلة وذوق رفيع وشمولية لكل مناحي الحياة، كما يُعدُّ مرآةً لمعالم التعبير البليغ الذي هو من أخصِّ سمات هذا العصر، لذا كان قبلة الباحثين على اختلاف تطلعاتهم، وتنوع غاياتهم.

والهدف من البحث: الكشف عن جماليات القيم الجاهلية من منظور بلاغي يلقي الضوء على محاسن الصياغة وجودة التركيب ودقة السبك؛ بما يُقربنا من ملامح هذه القيم في الذهن الجمعي آنذاك، ويكشف زيف مقولات باعثة على صدِّ الجيل الحالي عن قراءة تراثه، بحجج واهية لا تتصل بالواقع، كالقول بصعوبة لغتهم، وتعقد تراكيبهم، وفطرية خيالاتهم وصورهم، ووسمهم بالهمجية وتردي الأخلاق إلى غير ذلك من الدعاوى التي لا هدف لها سوى الاستهانة بالجيل المخصوص بنزول القرآن، وبعثهم في صورة هزيلة لا ترقى إلى مسألة التحدي، وتسلبهم القوى البيانية التي أجمع عليها منصفو علماء الأمة.

ومن ثم جاء البحث بعنوان: **(القيم الأخلاقية والجمالية في حوار حمير مع أبنائه)**

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع أمور من أهمها:

١- قلة الدراسات البلاغية التي عنيت بالنثر الجاهلي فيما أعلم.

٢- إرساء دعائم الحوار الناجع بين أفراد المجتمع بعيدًا عن التعصب والعنصرية بغية ترسيخ المفاهيم، وتثبيتها في نفوسهم.

٣- معرفة الفروق الدقيقة بين الألفاظ، وتناسب المعاني، وترتيبها في النفس، والبناء الممتد في أطراف المحاورة.

٤- الكشف عن نفسية المجتمع الجاهلي من خلال إبراز تلك القيم النبيلة.

وتتجلي بلاغة تلك القيم في أسلوب محاورة ممتع يتصدر مشهدها أب مسموع الكلمة له شأن عظيم في العلم والأدب أدار دفة المحاورة، وأولاد نجباء لهم باع في سعة المعرفة، وهنا توتي المحاورة ثمارها بعيدة عن التعصب وإظهار التفوق، فالهدف من المحاورة إبراز تلك القيم النبيلة، ومن ثم فيتسع المقام لذكر قيم متعددة ممكن أن ترتد إلى قيم أصيلة ثابتة، فيحدث الإمتاع وعلو الذوق من قبل المتحاورين، وهنا يتمكن لدى القارئ أن بلوغهما في العلم والأدب مبلغًا كبيرًا هو هدف المحاورة والوصول إلى حقائق نافعة.

وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الفني التحليلي للكشف عن تلك الفروق الدقيقة بين الألفاظ، وانسجام الكلمات، وصوغ العبارات.

وقد جاءت خطة البحث كالآتي:

المقدمة وتحدثت فيها عن القيم الأخلاقية في الجاهلية، ودور البلاغة في الكشف عن جماليات تلك القيم .

والتمهيد تحدثت فيه عن مفهوم القيم في اللغة والاصطلاح، والقيم الأخلاقية ومفهوم الجمالية، ونص المحاورة التي تقوم عليها الدراسة.

المحور الأول: الحوار في النص، نوعه وأسراره.

المحور الثاني: براعة استهلال في مقدمة المحاورة.

المحور الثالث : بلاغة التعبير عن صفات الرجال .

المحور الرابع: بلاغة التعبير عن صفات النساء.

المحور الخامس: بلاغة التعبير عن أوصاف الخيل .

المحور السادس: بلاغة التعبير عن ألذ العيش.

المحور السابع: بلاغة التعبير عن وصف السيوف.

المحور الثامن: بلاغة التعبير عن وصف الرماح.

الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ثم ثبت بأهم المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات .

نص المحاورة

حديث بعض مقاول حمير مع ابنيه وما دار بينه وبينهما من المساءلة حين كَبُرتْ سنه[1]

قال القالي في أماليه: حدثنا أبو بكر بن دريد، قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى عن التوّزي عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان لرجل من مَقَاوِل حمير ابنان يقال لأحدهما عمرو وللآخر ربيعة، وكانا قد برَعَا في الأدب والعلم، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأَشْفَى على الفناء، دعاهما لِيَبْلُو عقولَهما، ويعرف مبلغَ علمهما.

فلما حضرا قال لعمرو وكان الأكبر: أخبرْني عن أحبِّ الرجال إليك وأكرمِهم عليك، قال: السيِّد الجواد، القليل الأنْداد، الماجد الأجداد، الراسي الأَوْتَاد، الرفيع العماد، العظِيم الرّماد، الكثير الحُسّاد، الباسل الذَّوَّاد، الصادر الورَّاد.

قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: ما أَحْسَنَ مَا وَصَف وغيرُه أحبُّ إليّ منه، قال: ومَنْ يكون بعد هذا؟ قال: السيِّد الكريم، المانع للحَرِيم، المِفْضَال الحليم، القَمْقَام الزَّعِيم، الذي إن هَمَّ فعل، وإن سُئِل بَذَل.

قال: أخبرني يا عمرو بأَبْغَضِ الرجال إليك، قال:البَرم اللئيم، المستَخْذِي للخَصِيم، المِبْطَانُ النَّهيم، العَيِيُّ البَكِيم، الذي إن سُئِل مَنَعَ، وإن هُدِّد خَضَع، وإن طُلِب جَشَع.

قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: غيرُه أبغضُ إليّ منه، قال: ومَنْ هو؟ قال: النَّموم الكَذُوب، الفاحِشُ الغَضُوب، الرغيبُ عند الطعام، الجَبَان عند الصّدام.

قال: أخبرني يا عمرو أيُّ النساء أحبُّ إليك؟ قال: الهِركَوْلةُ اللَّقَّاء، المَمْكُورة الجَيْدَاء، التي يشفى السقيمَ كلامُها، ويُبْرِئ الوَصِب إلمامُها، التي إن أَحْسَنْتَ إليها

(١) الأمالي ت: أبو على القالي، إسماعيل بن القاسم ، تح/ محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط: الثانية، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م-١/ ١٥٢-١٥٤.

شَكَرت، وإن أسأتَ إليها صَبَرَتْ، وإن اسْتَعْتَبْتَها أعْتَبَتْ، القاصِرة الطَّرف، الطَّفْلة الكَفّ، العَمِيمَةُ الرّدف.

قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: نَعَتَ فأحسن، غيرُها أحبُّ إليّ منها، قال: ومن هي؟ قال: الفتَّانَةُ العينين، الأسِيلَةُ الخَدَّين، الكاعِبُ الثَّدْيَيْن، الرَّدَاحُ الوَرِكين، الشاكرة للقليل، المساعدةُ للحَليل. الرخيمة الكلام، الجمّاء العظام الكريمة الأخْوال والأعمام، العَذْبة اللِّثام.

قال: فأيُّ النساء أبغضُ إليك يا عَمْرُو؟ قال: القتّاتة الكَذُوب، الظاهرة العيوب، الطَّوَّافة الهَبُوب، العابسة القَطُوب، السَّبَّابة الوَثوب، التي إن ائتمنها زوجها خانته، وإن لاَنَ لها أهانته، وإن أرضاها أغْضَبته، وإن أطاعها عَصَتْه.

قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: بئس المرأة ذَكَرَ وغيرُها أبغضُ إليّ منها، قال: وأيتهنَّ التي هي أبغض إليك من هذه قال: السَّليطة اللسان، المؤذية الجيران، الناطقة بالبُهتان، التي وجهُها عابس، وزوجُها من خيرِها آيس؛ التي إن عاتبها زَوْجُها وَتَرَتْه، وإن ناطقها انتَهَرَتْه، قال ربيعة: وغيرها أبغضُ إليّ منها، قال: ومن هي؟ قال: التي شقي صاحبُها، وخَزيَ خاطبُها. وافتضَح أقاربُها، قال: ومن صاحبُها؟ قال: صاحبها مِثْلُها في خصالها كلها، لا تصلحُ إلاّ لهُ ولا يصلح إلاّ لها، قال: فَصِفْه لي، قال: الكَفُور غير الشكور، واللئيم الفَخُور، العَبُوس الكالح، الحَرون الجامح، الراضي بالهوان، المُخْتال المنان، الضعيف الجَنَان، الجَعْد البنان، القَؤُول غير الفَعول، الملولُ غيرُ الوَصُول، الذي لا يَرِع عن المحارم، ولا يرتدع عن المظالم.

قال: فأخبرني يا عمرو أيُّ الخيل أحبُّ إليك عند الشدائد، إذا التقى الأقران للتجالد؟ قال:الجَوَاد الأنيق، الحِصَان العَتيق، الكفيت العريق، الشديد الوثيق، الذي يفوت إذا هرب، ويَلْحَقُ إذا طلب.

قال: نِعْمَ الفرس واللّه نَعتَّ فما تقول يا ربيعة؟ قال: غيرُه أحبُّ إليّ منه، قال: وما هو؟ قال: الحِصَان الجواد، السَّلِسُ القياد، الشهْم الفؤاد، الصبور إذا سرَى، السابق إذا جرى.

قال: فأيُّ الخيل أبغضُ إليك يا عمرو؟ قال الجَمُوح الطَّمُوح، النَّكُول الأنوح، الصّؤُول الضعيف، الملول العنيف، الذي إن جاريتَه سَبقْته، وإن طلبته أدركْتَه.

قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: غيره أبغض إليّ منه، قال: وما هو؟ قال: البطيء الثقيل، الحَرون الكليل، الذي إن ضربتَه قَمص، وإن دنوت منه شمس، يدركه الطالب، ويفوته الهارب، ويقطع بالصاحب، ثم قال ربيعة: وغيره أبغضُ إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الجموح الخَبُوط، الركوض الخَروط، الشَّمُوس الضَّروط، القَطُوف في الصعود والهبوط، الذي لا يسلِّم الصاحب، ولا ينجُو من الطالب.

قال: فأخبرني يا عمرو أيُّ العيش ألذ؟ قال: عيش في كرامة، ونعيم وسلامة، واغتباق مُدَامة، قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: نِعْمَ العيش واللّه ما وصف وغيره أحبُّ إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: عيش في أمن ونعيم، وعزٍّ وغِنًى عميم، في ظل نجاح، وسلامة مساء وصباح، وغيره أحبُّ إليّ منه؛ قال: وما هو؟ قال: غِناء قائم، وعيش سالم، وظل ناعم.

قال: فما أحبُّ السيوف إليك يا عمرو؟ قال: الصَّقيل الحُسام، الباترُ المِخْذَام، الماضي السِّطام، المُرهَفُ الصَّمْصَام، الذي إذا هززته لم يَكْبُ، وإذا ضربت به لم يَنْبُ، قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: نِعْمَ السيف نَعَت وغيره أحبُّ إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الحسام القاطع، ذو الرَّوْنق اللامع، الظمآنُ الجائع، الذي إذا هززته هَتَك، وإذا ضربت به بَتَك.

قال: فما أبغض السيوف إليك يا عمرو؟ قال: الفُطار الكَهام، الذي إن ضُرب به لم يقطع، وإن ذُبِح به لم يَنْخع، قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: بئس السيف واللّه ذكر وغيرُه أبغضُ إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الطَّبِع الدَّدَان، المِعضَدُ المهان.

قال: فأخْبِرْني يا عمرو أيُّ الرماح أحبُّ إليك عند المراس، إذا اعتكر الباس، واشتجر الدِّعاس؟ قال: أحبُّها إليَّ المارنُ المثَقَّف، المُقَوَّم المُخطَّف؛ الذي إذا هَزَزْتَه

لم يَنْعَطِف، وإذا طعنت به لم يَنْقَصِف، قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: نِعْمَ الرمح نَعَتَ، وغيرُه أحبُّ إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الذَّابل العَسَّال، المُقَوَّم النَّسَّال، الماضي إذا هززته، النافذ إذا هَمَزْتَه. قال: فأخبرني يا عمرو عن أبغضِ الرماح إليك، قال: الأعْصَلُ عند الطّعان، المُثَلَّم السِّنان، الذي إذا هززته انْعطف، وإذا طعنت به انقصف، قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: بئس الرمح ذَكَر وغيرُه أبغض إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الضعيف المَهَزّ، اليابسُ الكَزّ، الذي إذا أكرهته انحطم، وإذا طعنت به انقسم، قال: انصرفا الآن طاب لي الموت.

****

التمهيد

تعتبر القيم عنصرًا رئيسًا في تشكيل ثقافة أي مجتمع في القديم أو في الحديث، وتؤدي دورًا كبيرًا في إدراك الأفراد للأمور حولهم، وكذلك تصورهم للعالم المحيط بهم، فهي تعبر عن البيئة المحيطة أحسن تعبير، وتطلق القيم على"ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقًا للتقدير كثيرًا أو قليلًا، فإن كان مستحقًا للتقدير بذاته كالحق والخير والجمال كانت قيمة مطلقة،وإن كان مستحقًا للتقدير من أجل غرض معين كانت قيمة إضافية(١).

ومن أبرز القيم الأخلاقية الرئيسة في العصر الجاهلي: الكرم والشجاعة والوفاء، وقيم أخرى ثانوية ترتد إلي تلك القيم النبيلة، وقيم جمالية تظهر في رسم صورة متكاملة عن جمال المرأة وأدوات المعركة ومتع العيش في الحياة الجاهلية كما سيتضح بعون الله تعالي.

أما عن الجمال فهو "مصدر الجميل، وهو الحسن في الفعل والخَلْق، والجمال يقع على الصور والمعاني(٢) .

وفى الاصطلاح: كل ما يسر السمع ويبهج النظر(٣)، وهو انفعال وعاطفة تخصان طبيعتا الإدارية والذوقية، ولا يمكن أن يكون الشيء جميلًا بدون أن يحدث متعة لدى أحد الناس(٤).

والقيم الجمالية يشترك في تحديدها المبدع والمتلقي معًا من خلال قدرة المبدع على صوغها وإبرازها في معان رائقة، ودور المتلقي في تذوق ومعايشة تلك المعاني الجمالية .

---

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة كامل المهندس، لبنان بيروت ط٢ ١٩٨٤م .٣٠١.

(٢) لسان العرب مادة: ج–م–ل

(٣) الجمالية (المفاهيم والآفاق والخصائص الأساس ترجمة ثامر مهدي دار الشؤون الثقافية العراق د.ت صـ٤٧

(٤) علم الجمال عبد الفتاح الديدي مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨١م ،٤٠.

المحور الأول: الحوار في النص، نوعه وأسراره.

الحوار: الرجوع عن الشيء وإلي الشيء، وحار يحور حورًا : رجع وكلمته فما رجع إليّ حوارًا أي جوابًا، وأحار عليه جوابه ردّه، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب، وهم يتحاورون أي يتراجعون في الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة(١).

والحوار كفن من فنون الكلام له أصول وضوابط ومن ضوابطه: "إحسان النية والقصد للوصول إلى الحق، والحرص على الصدق، والتواضع بين المتحاورين، وعدم الاعتداء على آخر بالكلام السيئ"(٢).

أما عن أنماط الحوار(٣) فيختلف باختلاف الجهة، وبالنظر إلى وصف الحوار فمن الممكن أن يقسم إلى حوار: محمود ومذموم، وبالنظر إلى طبيعة الحوار فيقسم إلى حوار جاهل:(لا يريد الوصول إلى الحقيقة)، وحوار المتعلم: الذي ينشد الحقيقة، ومن حيث طبيعة الحوار السائد ممكن تقسيمه إلى حوار هادئ، وحوار عنيف، ومن حيث عدد المتحاورين: هناك حوار فردي، أو جماعي، وممكن ضم تلك التقسيمات خشية التكرار إلى حوارين: محمود، ومذموم .

الحوار المحمود: الذي توافرت فيه شروط وآداب الحوار ويكون القصد منه التوصل إلى نتائج.

أما الحوار المذموم فهو الذي لم يتوافر فيه شروط وآداب الحوار.

كما تبرز قيمة المحاورة بكشف الأبعاد النفسية باعتبارها أحد الوسائل التي يتم بها رسم الشخصية الإنسانية، فهو يخاطب الجانب العقلي في الإنسان من جهتين: إحداهما عرض الحقيقة، والجهة الأخرى الصراع العقلي الذي يدور في المحاورة،

---

(١) لسان العرب مادة: ح–و–ر.

(٢) أدب الحوار د / سعيد بن ناصر الشثري ، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ١٤٢٧هـ . ٢٢–١٦٠.

(٣) لغة الروح هتاف الروح موقع على الإنترنت.

وهذا يستدعي من السامع أن يشحذ عقله، وهذا يثير عنده غريزة حب الاستطلاع، ويثير مشاعر الإنسان وانفعالاته من قبل المتلقي والسامع[١].

أنواع الحوار تتعدد طرق المحاورة حسب طبية الموضوع وما يفضي إليه من نتائج، فهناك عدة أنواع للحوار منها:

١-الحوار الإقناعي: يهدف إلى وجود صيغةِ تفاهمٍ مشتركةٍ تجمعُ بين كلا الطرفين، ويكونُ بذلك المعنى وسيلة للإيضاح وبيان وجهات النظر التي تؤدي بدورها إلى الإقناع بتلك الوجهة ذاتها، والوصول إلى نتائج حقيقية .

٢-الحوار الاستقصائي: يقوم على الاستكشاف والاستقصاء حول موضوع معين، فهو يُتيح للباحث أوالمحاور إمكانية تكوين الأفكار حول الموضوع المراد بطريقة أفضل من طريقة التلقّي، ويتيح الحوار الاستقصائي إمكانية الاندماج مع البنى المعرفية للفرد، وبذلك يكون الحوار أكثر قابلية للاستدعاء والانتقال من فكرة إلى أخرى، ويعتمد الحوار الاستقصائي بالنقطة الأولى على مُثير يُشعل اهتمام المتحاورين ويؤدي إلى رغبتهم في البحث والاستقصاء والاستطلاع.

٣-الحوار الجدلي: يتمتع الحوار الجدلي بكونِهِ غير تابعٍ لحدود معينة، بل إنه مُطلَقٌ في الأفق، يستطيع أن يُحقق أهدافًا مرجوّة أو جزئيّات غير مقصودة بعينها، ويُعدّ الحوار الجدلي وسيلة من وسائل نشر الدين الإسلامي، فقد ورد الجدلُ بمعنى الحوار في القرآن الكريم، وكان ممدوحًا في مواضع ومذمومًا في مواضع أخرى.

٤-الحوار التفاوضي: يُشكّل الحوار جزءًا من عملية التفاوض، وإيجاد نتائج تناسب الأطراف المتحاورة بشكل أفضل وبطرق تؤدي إلى مكاسب أكبر لكل منهما، وتقوم دعامات هذا الحوار على الإلمام بالمعرفة الثقافية والاجتماعية لكلّ من

(١) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم د/ عبد الحليم حفني ط٣ الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٩٥م، ٥٠، ٥١.

الأطراف المتفاوضة بما يجعلها قادرة على الإلمام بالبيئة المحيطة، لما في ذلك من تأثير على صياغة السلوك الحواري التفاوضي.

والحوار الذي أتناوله بإذن الله تعالي من المحاورات المحمودة الإيجابية بين شخص من طرف، وأكثر من واحد في طرف آخر فهو حوار هادئ، ليس هدفه التعصب أو تسفيه الأخرين أو إلغاء الطرف الآخر أو إبراز عيوبه، وإنما الهدف منه إنشاد الحقيقة، وترسيخها وتثبيتها في عقول المجتمع وفي كل مناحي حياتهم.

إذا كان الحوار في مجمله ينقسم إلي حوار داخلي، وخارجي، فإن الحوار هنا خارجي، ولما كان الحوار يجري في نطاق الأسرة حيث إن أطراف العملية التحاورية الأب وأولاده فإنه يدخل تحت الحوارات التعليمية، التوجيهية، الإرشادية، لكن حين نقارن بين إجابات الأبناء، فإنه يدخل تحت الحوار التفاوضي أو الاستقصائي؛ لأن التفاوض يقوم على الإلمام بالمدونة الثقافية والأعراف والتقاليد المجتمعية، وظروف البيئة المحيطة، أما الاستقصاء فيتيح إمكانية الاندماج مع البني المعرفية للفرد فيتعرف وجهة نظرة وطريقة تفكيره، والاستقصاء يتيح أيضًا إمكانية تحصيل المراد حول موضوع معين، فكان الحوار بطريقة السؤال أفضل من طريقة التلقي المباشر، حيث يقدم ما عنده للوصول إلى الصيغة المثلي للإجابة عن سؤال الأب.

والحوار التوجيهي أو الإرشادي، فرض على بنية الحوار صورة السؤال والجواب هذه الطريقة المثلي للتعليم .

ولما كان الحوار بين الأب والأبناء احتاج إلى اللغة الهادئة الرصينة البعيدة عن التعصب والجدل

وكان الحوار التفاوضي أو الاستقصائي بين الأبناء يعرض وجهة نظره دون جدل أو خصومة أو التعريض والسخرية بالأخرين واقتضي ذلك تصديره بقوله:(ما أحسن ما وصف) إذًا فهو يحترم خصوصية المتحاور .

علاقة الحوار بالقيم

اختيار الحوار كوسيلة لنقل القيم (الأخلاقية أو الجمالية) اختيار موفق؛ لأنه ابتعد عن طريقة التلقين وهو أنفع وأثمر في طرائق التعليم المختلفة، وهو في الدراسات الحديثة أجدي وأنفع في تثبيت وترسيخ المعلومة.

واختيار طريقة السؤال والجواب بعيدًا عن التلقين مكنت الأب من الوقوف على اتجاهات الأبناء الفكرية والعقلية، وبذلك يفتح المجال أمام المتكلم والمتلقي معا على التواصل والنقاش والتخاطب والوصول إلى نتائج حقيقية نافعة.

****

المحور الثاني: براعة استهلال في عنوان المحاورة ومقدمتها .

عنوان المحاورة: حديث بعض مقاول حمير مع ابنيه وما دار بينه وبينهما من المساءلة حين كبرت سِنه.

أطراف المحاورة: المحاور الأول مقاول حمير الذي يدير المحاورة، وطرح الأسئلة، والمحاور الثاني عمرو(ابنه الأكبر) وربيعة(ابنه الأصغر)، وقد توافرت فيهما صفتان البراعة في الأدب والعلم، والتمهيد عبارة عن تهيئة جو مناسب للمحاورة والمتمثل في مقدمة المحاورة كما سيتضح، وصلب الموضوع:(ليبلو عقولهما، ويعرف مبلغ علمهما).

المحاور الرئيس "مقاول حمير" والمقاول والأقوال: وصف يطلق على ما دون الملك الأعظم، فمن جمع (قيلًا)على(أقيال) جعله من تقيّل أباه أي: أتّبعه كما قال تبّع من الأتّباع، ومن جمعه على (أقوال) أخذه من قال يقول، لأنه صاحب القول المسموع المعمول[١]، فالمهم أنه رجل صاحب مكانة مرموقة، معروف برجاحة عقله، ويؤخذ برأيه.

مقدمة المحاورة:(كان لرجل من مَقَاوِل حمير ابنان يقال لأحدهما عمرو وللآخر ربيعة، وكانا قد برَعَا في الأدب والعلم، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأَشْفَى على الفناء، دعاهما لِيَبْلُو عقولَهما، ويعرف مبلغَ علمهما) .

التمهيد للمحاورة من أول وهلة ينجذب المتلقي للمحاورة وذلك في قوله:(حديث)، وغالبًا ما يكون بين طرفين أو أكثر، وهو ما دل عليه بقوله(مع أبنائه)، ويأتي لفظ (دار) ليحقق مفهوم المحاورة، فالمادة مأخوذة من الطواف حول

(١) كتاب الصناعتين للعسكري ، تح: على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – بيروت: ٣٥٠.

الشيء، والعود إلي الموضع الذي ابتدأ به[١]، فالمحاورة تبدأ بتفاعل بين طرفين، وعند الانتهاء يعود بما ابتداء به في تفاعل آخر ونقاش مفيد .

وكلمة (المساءلة) بوزن المفاعلة من أفعال المشاركة، وما دام تم التساؤل فيكون بين متحاورين فأكثر، والمحاورة بهذا المعنى تثير في النفس حب الاستطلاع، وتكشف خبايا النفس الإنسانية.

وقوله:(حين كَبُرتْ سِنه) من أصعب الأوقات على النفس البشرية، حيث اقتراب الأجل، وانتهاء الأمل .

أمّا عن مقدمة المحاورة، فالمحاور رجل لابنين (قد بَرَعا في الأدب والعلم) وقد أشرف على الموت، وأيقن أنه لا محالة راحل، فأراد أن يقتدح زناد فكرهما، ويبلو عقولهما .

الصفة المتوفرة في(الطرف الثاني من المحاورة(الأبناء) قوله: (وكانا قد بَرَعا في الأدب والعلم)

تدور معاني الحوار حول تحقيق تلك المقولة، وفى الجملة براعة استهلال، وحسن افتتاح، وهذه الجملة معقد الكلام ومحوره، منها تتنوع الإجابات، وتختلف الاتجاهات، وهي جملة حالية مقترنة مسبوقة بالعطف والتحقيق دلالة على استقلالها، وتمكنهما من هذين الخلقين الكريمين .

والبراعة هي: وصول صاحبها إلى تمام كل الفضائل وتحققها، وتدل على كمال العطاء من غير سؤال ولا تفضل والبَارع: الذي فاق أصحابَه في السؤدد.[٢]، وتخصيص(الأدب والعلم)؛ لأن بهما مدار الدين والدنيا، ونقل العلم والأدب، ألذّ من نقل المأكل والمشرب، وهما أفضل ما يكتسب، وقد سئل أحدهم أيّ الاكتساب أفضل؟ قال: العلم والأدب كنزان لا ينفدان، وسراجان لا يطفآن، وحلّتان لا تبليان؛

(١) لسان العرب مادة :د- و- ر.

(٢) لسان العرب مادة :ب-ر-ع.

من نالهما نال أسباب الرشاد وعرف طريق المعاد، وعاش رفيعا بين العباد[١]، وهما مما يجعلان العبد سيدَا، فأربعةٌ يسود بها العبد: العلم والأدب والفقه والأمانة[٢].

ولا يخفى على المتأمل أن الجمع بين الصفتين دلالة على كمالهما في الموصوف، وبراعتهما في ذلك، وقوله: (فلما بلغ الشيخ أقصي عمره) جملة استئنافية تدل على بداية كلام مهم تؤكد على قرب المطاف وحطِّ الرحال، وعطف عليها جملة(وأشفى على الفناء) لمزيد توضيح وبيان دلالة على قرب الأجل وانتهاء الأمل .

وقوله:(دعاهما ليبلو عقولهما ويعرف مبلغ علمهما) هي صلب الموضوع حيث رتب على الجواب أمرين اختبار للعقل، وسعة أفق في العلم، فاعتدال العقل يحصل به حسن التدبير وجودة الذهن، وثقابة الرأي والتفطن لدقائق الأعمال، وإيثار الابتلاء دون الاختبار لأنه لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق [٣]،

وقوله:(ويعرف مَبْلَغَ عِلْمِهِمَا) العطف للتوسط بين الكمالين؛ لاستخرج مكنونهما واستنباط معرفتهما بحقائق الأمور، فبالعلم يسهل إدراك الصدق والكذب، والحق والباطل، والجميل والقبيح في الأفعال، بالإضافة إلي التعبير بالمضارع وما فيه من استحضار صورتها وتشخيصها ماثلة للعيون.

****

(١) سحر البلاغة وسر البراعة، ت: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي،تح: عبد السلام الحوفى ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ٥٠/١، وينظر : زهر الآداب وثمر الألباب ت: إبراهيم بن على بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني ، دار الجيل، بيروت ٥٤٥/٢.

(٢) لباب الآداب ت: أسامة بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري ، تح: الأستاذ/أحمد محمد شاكر ، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة ط: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ٢٢٩/١.

(٣) الفروق اللغوية: ٢١٦/١.

المحور الثالث: بلاغة التعبير عن صفات الرجال

بدأ مقاول حمير سؤاله الأول عن أحب الرجال؟ والرجل هو الكامل في كل شيء، وقد يكون الرجل صفة، ويعني به الشدة والكمال، والرجل هو عماد المجتمع وأساسه حيث يقع على عاتقه الكثير من المسؤوليات الكبيرة، ويلحظ في سؤال المحاور الناجع الوصول للهدف من أقرب طريق، فلا يُضيع وقته بجمل لا فائدة منها.

وطريقة المحاورة عن طريق السؤال والجواب أثمر وأجدي من طريقة التلقين، ففيها استفزاز ونشاط وهمة حيث تتيح مساحة أكبر للمتحاورين لعرض وجهات النظر المفيدة.

والمحبة والإكرام في قوله:(أحبهم إليك وأكرمهم عليك) ليستا على سبيل التفضيل اللازم بل على سبيل التقريب وترجيح الظنون، وليس معنى المفاضلة أنه أفضل من غيره في بابه، فقد يخرج أفعل التفضيل عن بابه .

العطف بين الجملتين (أحبهم إليك وأكرمهم عليك) يقتضي مزيد توضيح وإفهام؛ لأن المحبة لذاتها لا تعطي أفضلية، فعطف عليها الإكرام لما فيه من معنى الجود والعطاء، ويؤميء كذلك بإشارة لطيفة للتركيز على معنى العطاء والإفضال، فبه يعرف فضل الرجال .

قال عمرو وكان الأكبر – جملة اعتراضية تعكس مزيد احترام وتوقير وترابط وتوافق بين الأب وابنه الكبير، فقال: (السيد الجواد) صدّر عمرو كلامه بمعنى عام شامل يتفرع منه كل معاني العطاء وهو السيد الجواد، وقد سئل سيدنا عمرو بن الخطاب من السيد؟ فقال: الجواد حين يُسأل[1]، فأضاف أن الجود والعطاء يظهر فضلهما حين يتعرض الكريم للسؤال، فالأعلى كرمًا أن يبذل قبل أن يُسأل.

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية – بيروت: ١٤١٨ هـ ،١ /٣٢٧.

والجود عنصر أساس من عناصر الكرم، والكرم مفهوم أشمل من الجود الذي يشير إلى وجه واحد من وجوه الكرم، وإذا ما كان مفهوم الكرم يضاد مفهوم اللؤم، فإن مفهوم الجود يناقض مفهوم البخل أيضًا كما سيأتي عند تحليل صفات أبغض الرجال في جواب ربيعة، ومجيء العبارة بأسلوب القصر بتعريف الطرفين دلالة على بيان فضلهم وحسن صنيعهم.

ثم وصفه بقوله: (القليل الأنداد) وبناها على الفصل لكمال الاتصال لتصلح كل صفة مستقلة في التعبير عن أحب صفاته، فأحب الرجال أن يكون قليل الأعداء، كما أن التعبير بصيغة المبالغة (فعيل) تدل على ندرته وتفرده بين الناس، واعتراف الناس بفضله وحسن فعاله.

وقوله:(الماجد الأجداد) صفة متفرعة من الجواد؛ لأنه مادام جوادًا فهذا يدل على طيب المنبت، وكرم المحتد، فالمَجْدُ: المُرُوءةُ والسخاءُ. والشَّرَفِ الواسع، وَرَجُلٌ مَاجِدٌ: مِفضالٌ كَثِيرُ الْخَيْرِ شَرِيفٌ، وتخصيص المجد بالأجداد له فضل مزية؛ لأن المجد لَا يَكُونُ إلا بالآباءِ، وَقِيلَ: المَجْدُ كَرَمُ الْآبَاءِ خَاصَّةً، يُقَالُ: رَجُلٌ شَرِيفٌ ماجدٌ، لَهُ آباءٌ مُتَقَدِّمُونَ في الشَّرَفِ[1]، كما أن التعبير باسم الفاعل يدل على ثبوت الوصف ولزومه وتعلقه به تعلق الفرع بالأصل .

ثم أعقب ذلك بقوله:(الراسي الأوتاد) فجعلها مستقلة عما قبلها على طريق الاستئناف والقطع، والتعبير باسم الفاعل(الراسي) دلالة على ثبوتها وتأصلها فهو وصف ثابت لها، وفيه استعارة حيث استعار الجبال والأوتاد للرجل الثابت المتزن الوقور على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، فإذا أردت أن تنظر إليه وتتفكر في أحوال هذا الماجد، فانظر إلى عظمة الجبال وثباتها، وتمكنها ورسوخها.

ثم فصَل بصفة أخرى وهو وصف منبثق مما قبله (الرفيع العِماد) فمنزله رفيع مَعْلَمٌ لزائريه دلالة على الطول والرفعة وعلو المنزلة، وهى كناية عن شرفه

(١) اللسان والتاج مادة: م–ج– د .

وشهرته، وهذه الكناية فيها من الوسائط نوع خفاء؛ وذلك لأن أصل (العِماد) الأعمدة التي يقام عليها البيت، وارتفاعها يجعل بيته مشهورًا واضحًا دلالة على شهرة صاحبه، وعلو منزلته بين القوم.

وبعدما وصفه بكرم الأجداد وطول البنيان وقصد الضِيفان، وصفه بالكرم مرة أخرى في قوله:(العظيم الرماد) وهو من لوازم الكرم وحسن الضيافة، وصيغة فعيل تدل على المبالغة في الكرم، والرماد يأتي مرتبطًا بـ (القدر) مرة، وبـ (النار) مرة أخرى.

ويوصف (الرماد) دائمًا بأنه(ضخم) أو(عظيم)، يقول عمرو بن قميئة[1] :

عَظيمُ رمادِ القدر لا متعلسٌ ولا مُؤيسٌ منها إذا هو أوقدا

عَظيمُ رَمَادِ القِدرِ لا مُتَعَبّسٌ وَلا مُؤيِسٌ مِنها إذا هُوَ أخمَدَا

ويقول كعب بن سعد الغنوي[2]:

عظيمُ رمادِ القِدرِ رَحبٌ فناؤهُ إلى سَنَدٍ لمْ تحْتَجِبْهُ غُيُوبُ

والمعنى: أنه يكون حيث يراه الناس إذا طلبَ لم تحتجبه غيوبٌ، والغيب: البطن المنخفض من الأرض، وهو كناية عن البذل والعطاء، وهى من الكنايات البعيدة التي يكون الانتقال فيها من المعنى المكنى به إلي المكنى عنه بواسطة أو بعدة وسائط، وكلما كثرت الوسائط ازدادت الكناية بُعدًا وخفاء.

فعظم الرماد كناية عن الكرم، وعظم الرماد يستلزم كثرة إيقاد النار تحت القدور، وهذا يستلزم كثرة الطبخ وهي تستلزم كثرة الأكلة وكثرتهم تستلزم كثرة الضيوف وهذا دليل الكرم.

---

(١) الاختيارين ت: على بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر ، تح: فخر الدين قباوة: دار الفكر، دمشق – سورية ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م ١/ ٤٥٧ .

(٢)السابق ١/ ٧٥٤.

والقرينة هنا غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، فالرماد موجود على الحقيقة فهو أثر من آثار الجود وحسن الضيافة، "ويكثر الرماد بحسب اتساع ضيافته، وكثرة غاشيته، والضيافة إنما تكرم وتشرف بحسن خلق المضيف وخفته في الخدمة، وملاطفته لضيوف، وتحفيه وبره بهم"(١).

فحسن الضيافة وملاطفة الضيف يحمل ناحية نفسية عريقة، فليس الهدف الرئيس هو إرواء ظمأ، أو إشباع معدة، وإنما هي فضلًا عن ذلك إكرام للنفس الإنسانية؛ لكي تشعر بعزتها وأنفتها، ويصور هذا المعنى زهير بن أبي سلمي، فيقول:(٢)

تَرَاهُ إِذا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كأنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أنْتَ سَائِلُهْ

ويقول الآخر: (٣)

لِحَافِي لِحَافُ الضَّيفِ والبيْتُ بَيْتُه ولمْ يُلْهِنِي عَنه غَــزالٌ مُقَنَّعُ

أُحَدثُه إنَّ الحَــديثَ مِن القِـــــري وتَعْلَمُ نفْسِي أنَّه سَوفَ يَهْجَعُ

ولما كان عظيم الرماد كريمًا للأضياف غير أن حساده كُثر، قال:(الكثير الحُسَّاد) كناية عن الكرم، وهذا دليل على أنه جواد عتيق، وكريم أنيق، والتعبير بصيغتي(فعيل وفعّال) تدل على المبالغة في كثرة حساده، وأنه حديث الناس، فليس حاسد يقصده وإنما يقصده كل مؤمل وطالب.

ضع هذه العبارة بإزاء أختها(القليل الأنداد) لبيان المطابقة بين كثرة أفضاله، وانتشار محامده، وتفرده وتميزه بين رفقائه.

---

(١) ينظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي الأصفهاني، تح: غريد الشيخ– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م،١ / ٩٧٥.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمي شرح :على حسن فاتور المكتب العلمي بيروت لبنان ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م،٩٢

(٣) ديوان مسكين الدارمي دار صادر بيروت٢٠٠٠م ، ٦٩–٧٠، ووردا في حماسة أبي تمام ٣٤٧/٢ .

ثم يصفه بالشجاعة والذود عن البلاد والحرمات، فيقول:(البَاسِل الذَّواد)، فالبَسَالَة :الشَّجَاعَةُ. والبَاسِل :الشَّدِيدُ، وَالْجَمْعُ بُسَلاء وبُسْل، وَقَدْ بَسُلَ، بِالضَّمِّ، بَسَالَة وبَسَالًا، فَهُوَ بَاسِل أَي بَطُل[١].

ذاد عنه :اذا دفع[٢]، والباسل تتجلي شجاعته في الحرب؛ لأنها محك الطولة ومظهر القوة، فيها يظهر معدن الرجال، ويتمايز الفرسان، فتنجلي غمراتها عمن ثبت فيها، وصبر على شدائدها وأهوالها، والتعبير باسم الفاعل وصيغة المبالغة (فعّال) دلالة على الثبوت والدوام ، وبيان فضله واستماتته في الدفاع عن قومه وحماية حرماتهم .

ثم تبع ذلك بوصف أخص عندما يكون في ساحة المعارك وحومة الطعان فهو(الصادر الوارد) جرئ يقتحم الأهوال والمفاوز، والتعبير باسم الفاعل دلالة على الثبوت والدوام، وأنه مقدام شجاع يتحدى الصعاب، والتعبير بـ (أل) التعريف يدل على أنهم جديرون بتلك الصفات والأفعال .

والطباق بين الاسمين يدل على شدته وسطوته وبأسه، وتمكنه من الأمرين معا، حيث يُقال لِلَّذِي يَبْتَدِئ أَمْراً ثُمَّ لَا يُتِمُّه: فُلان يُورِد وَلَا يُصْدِر، فإِذا أَتَمَّهُ قِيلَ: أَوْرَدَ وأَصْدَرَ، فالصادر الذي يصدر عن الماء، والوارِد (الشُّجَاعُ) الجريء المُتَقَدِّم في الأُمورِ[٣].

ويلحظ اقتران معالم السيادة والرئاسة في قوله:(الرفيع العماد– الراسي الأوتاد) مع الكرم والشجاعة في قوله:(الباسل الذَّواد الصادر الوارد) فلا يحمي إلا من كان ذا مهابة ومنعة وقوة، ومن يجده عنده الأمن، والكرم والشجاعة صنوان، وهما مصدر الفضائل ، فالكرم يشمل كل معتفٍ وطالب حاجة يطرق بابه ، ويرتجي عونه، والشجاعة تتطلب تكافلًا وإنقاذًا للأخرين خشية هلاكهم وبطش الناس بهم.

(١) اللسان والتاج ب– ذ– ل.
(٢)السابق ذ–و– د.
(٣)اللسان والتاج: و– ر– د ، ص–د– ر.

ثم وجه الوالد سؤاله لابنه الأصغر ربيعة:(ما تقول يا ربيعة؟) توجيه السؤال لابنه يتحقق فيه معنى المساءلة وطريقة إجراء الحوار النافع بقصد تبين الآراء، وتنوع الأفكار، وليس الغرض منه الجدل وفرض السلطة، أو الانتقاص من مكانة الطرف الآخر.

وهذا ما دل عليه بقوله:(ما أحسن ما وصف؟) وهو أسلوب تعجب، وفيه اعتراف من الأصغر للأكبر بالحسن والإشادة وتبادل الاحترام والتوقير، واحترام لخصوصية المتحاور، وبناؤه على التعجب يدل على شدة إعجابه بما سمع وإبداعه فيما وصف.

ودلالة التفضيل في قوله: (غيره أحبُّ إلي منه) لا تنكر أهمية ما وصف وأبدع لكن يروق له أوصاف أخرى، فمحاوراتهم مبنية على القيم وموضحة المفاهيم، وقائمة على التفاوض وتبادل الأفكار.

والسؤال من أبيه (وما هو) فيه دلالة على التشويق والتعجيب من حال ولديه، والهدف من ذلك إثارة اهتمام السامع، وإيقاظ عقله، وشد انتباهه بصورة أشد .

بدأ ربيعة على منوال أخيه ذاكرًا:(السيد الكريم) كما افتتح عمرو كلامه، لكنه آثار صفة الجواد، والصفتان من منبع واحد، لكن مشربهما مختلف كما سيأتي، وفرَّع من صفة الكرم صفات متعددة ترتد إلي المطلع الأول (السيد الكريم) كما سنتعرف، والسؤال هل الكريم غير الجواد، وأيهما أخص وأعم ؟ الكرم مفهوم شامل أطلقه المرء على الصفات النبيلة كلها، يقول المرزوقي: الكرم اسم لخصال تضاد خصال اللؤم[١]، كما أن كلمة الكرم لا تعني فقط التبرع بالمال أو الجود على الإطلاق على الرغم من أن الكريم يسمي جوادًا، وإنما هو مفهوم شامل لكل المناقب، مثل الجود والشجاعة والصبر والعناية بالجيران وحماية العرض ومنع الظلم والصفح[٢].

(١) شرح ديوان الحماسة: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، ١ / ٨٣.

(٢) الجود والبخل في الشعر الجاهلي د/ محمد فؤاد نعناع دمشق ط١/١٩٩٤م، ٣١.

ولكي يذكر معاني أخرى في أحب الرجال، وهذا يرتد إلى الجملة العجيبة وهي محط الاهتمام، وعليها معقد الكلام (برعا في الأدب والعلم).

وأحب الرجال وأكرمهم الذي له سطوة ومنعة وحماية لعشيرته، فقوله: (المانع للحريم) ، وهو أعظم ما يمتدح به الرجل حماية الأعراض والذب عن الحرمات، فالمَنْعُ: أَن تَحُولَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّيْءِ الَّذِي يُرِيدُهُ، وَهُوَ خلافُ الإِعْطاءِ، وَقد يُرادُ بذلكَ البُخْلُ ومِنْهُ قَوْله تَعَالَى(ويمْنَعُونَ الماعُونَ) (الماعون: ٧) منّاعٍ للخَيرِ، (وَإِذا مسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً) (المعارج:٢١) [١]، والتعبير باسم الفاعل (المانع) يدل على تأصل تلك الصفة في طباعه فهو دائمًا في نصرتهم وحمايتهم، وتخصيص الحماية للحريم فيه مزيد اهتمام ورعاية، ويلمح منه أن الكريم المفضال تأخذه الغيرة على بعض بنات العرب من الوأد والترخص فيهن بأن يتتبع أخبارهم ويتفقد أحوالهم، فينقذها من الموت بأن يتكفل بأمر مؤونتها ورعايتها حتي تكبر، كما ورد في أخبار صعصعة بن ناجية " كان يعطي الآباء ناقتين وجملا بدلا من كل موءودة ؛كي تتحسن أحوالهم وينتعشوا من فقرهم"[٢] وبذلك يحقق صفتي الكرم، وحماية الضعيف، وهذا يؤكد أن العربي لم يكن في نيته إزهاق روح، بدليل أنه إذا أتاه الرجل يقول له لا تقتلها، أنا أكفيكها مؤونتها تركها .

و(المِفْضَالُ الحليم)صفة متفرعة من معنى الكرم، وهي صفة أعم مما قبلها فهي تعميم بعد تخصيص، وهو أن يكون مفضالًا: كَثِيرُ الفَضْلِ وَالْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ[٣]،والتعبير بصيغة المبالغة مِفْضَال دلالة على التأكيد وبيان كثرة الفضل وبذل المعروف .

(١) اللسان والتاج مادة : م- ن-ع.

(٢) الكامل في اللغة والأدب ت: للمبرد، أبو العباس ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ط: الثالثة دار الفكر العربي – القاهرة.١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ٢/ ٤٢٧- ٤٢٨. وينطر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ت/ محمود شكري الألوسي تح/ محمد بهجة الأثري ١٩٢٣م، ٣/ ٤٥.

(٣) اللسان والتاج: ف- ض- ل.

ثم زاد صفة أخرى وهي صيغة مبالغة أيضا(الحليم) بوزن (فعيل) يعني الشهم المقبل كثير الصفح ، وبناؤها على المبالغة دلالة على التأكيد والمبالغة حتي أصبح الحلم سجيته وطباع والحلم، بالكسر: الأناة والعقل وضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب[١]، فاستحق أن يكون سيد قومه؛ لأنه يستطيع إطفاء نار الغضب، والنظر في الأمور بحكمة ودراية، ويحمى أفراد فبيلته من الاندفاع والطيش والتهور، وهذا ينفى الشائع الذي يتردد عن المجتمع الجاهلي وما يعتريه من همجية وحمق وطيش.

ثم يختتم تلك الصفات الأصيلة بمعنى شامل يسع جميع الصفات السابقة بقوله:(القمقام الزعيم)، فأحب الرجال في نظر ربيعة أن يكون سيدًا كريمًا واسع الفضل كثير المعروف، تأمل كلمة (القمقام)، وما فيها من الرفعة والسمو، فالقِمَّةُ: أَعْلَى الرأْسِ وأَعلى كلِّ شَيْءٍ، والقَمْقَامُ والقُمَاقِمُ مِنَ الرِّجَالِ: السَّيِّدُ الْكَثِيرُ الْخَيْرِ الْوَاسِعُ الْفَضْلِ. وَيُقَالُ: سَيِّدٌ قُمَاقِمٌ، بِالضَّمِّ، لِكَثْرَةِ خَيْرِهِ[٢]، وتكرار القاف والميم يدل على الرفعة والسموق وكثرة الخير والهيبة.

ثم إنه ليس رجلًا عاديًا مغمورًا عند عامة الناس، بل هو زعيم قومه، والمتحدث بلسانهم، والراعي حماهم، وهنا يزداد فضله، ويطمئن إليه الناس، ويلجؤون إليه في الملمات؛ لذا استحق أن يكون أحب الرجال وأكرمهم، وأنبلهم وأنفعهم، والزَّعِيمُ: (سَيِّد القَوْم وَرَئِيسُهم، أَو رئيسهم(المُتَكلّم) عَنْهُم)[٣]، ثم ينسب إليه أحب الأوصاف وأجدر المناقب فما دام قماقمًا في قومه زعيمًا عند الناس استحق تلك المناقب.

وقوله:(الذي إن همَّ فعل وإن سئل بذل)الوصف هنا ملازم لكل ما سبق من أوصاف، وهو الهم عند الفعال والبذل عند السؤال، ويبدو لي أن سوق

(١) السابق مادة : ح– ل– م.
(٢) نفسه مادة : ق–م– م .
(٣) نفسه مادة: ز–ع– م.

اسم الموصول هنا لزيادة تقريره في النفوس، وتعظيم الموصوف به، فهو جدير بأن يتصف بها كل الرجال .

والبَذْل: ضِدُّ المَنْع. بَذَلَه يَبْذِلُه ويَبْذُلُه بَذْلًا: أَعطاه وجادَ بِهِ. وَكُلُّ مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بإِعطاء شَيْءٍ فَهُوَ بَاذِلٌ لَهُ[1]، والمقابلة بين الأمرين جعلتك تنظر إلى المقابلتين معًا فتم التمكن، وثبت المعنى عند المتلقي مصحوبًا بموسيقي خلابة (إن هَمَّ فعل إن سُئل بذل) وتلك المقابلة من أعظم ما يمتدح به الرجل الكريم الهمة عند الفعال، والبذل عند السؤال .

ثم ينتقل الوالد بالسؤال عن نقيض الحب والعطاء موجهًا سؤاله إلى ولديه(عمرو وربيعة)، فسألهما عن أبغض الرجال، والحوار مبني على المقابلة والتضاد، والضد يظهر حسنه الضد، قال مقاول حمير: أخبرني يا عمرو بأبغض الرجال إليك؟ قال: (البرم اللئيم) أولي الصفات البغيضة المناقضة للكرم والجود فهي على الضد منها، والبرم: هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ويعد عارًا عليه، وكانوا قديما يلعبون الميسر في أمسيات الشتاء القارض وأقواد الحاجة عندما يسود القحط والجدب وتهب الرياح؛ لأنه لا يوجد في مثل هذا الوقت عشب فتزداد حاجة الناس إلى الطعام ويميل بعضهم إلى التقتير والإمساك[2] .

فها هو الأسود بن يعفر يفتخر بقومه الذين يلعبون الميسر وقت القحط [3]

فَلَنَّ تَعْدَمي منّا السَّراة ذَوِي النُّهَى إذا قَحَطَتْ والمُسْمِحِينَ المَسَاحِقَا

وعلقمة بن عبدة يفتخر بأنه يلعب وقت الحاجة إلى الطعام، يقول[4]:

وقد يَسَرْتُ إِذَا مَا الْجُوعُ كُلَّفَهُ مُعَقَّبٌ مِنْ قِدَاحِ النَّبْعِ مَقْرُومُ

(١) اللسان والتاج مادة: ب– ذ– ل.

(٢) الجود والبخل في الشعر الجاهلي صـ: ١٩٢ .

(٣) ديوان الأسود بن يعفرالنهشلي ٤٨/٢.

(٤) ديوان علقمة بن عبدة ٥١.

وهـؤلاء البرمــاء لا يجتمعـون ويلعبـون إلا لـيلًا؛ لأن الليـل وقـت مجـيء الأضياف، واشتداد البرد القارص فيوقدون وييسرون(١).

فالبرم يطلق على الرجل الغني الذي لا يشترك بلعب الميسر وهذا ماعُدَّ عارًا، وهو خاص بالغني، أما الفقير فلا يملك ما ينفقه في تلك المنفعة الجليلة، ومن هنا كشف ابن قتيبة عن وصف البرم بالمعنى السلبي وهو الذي لا يتحمل الغرم لصلاح أحوال الناس(٢)، وهذه العادة(أي الميسر) من مناقب الجاهلية يفتخرون بها ويتغنون بمجدها، يقول ابن قتيبة وعبد القادر البغدادي بأن هذا من أفعالهم القديمة الحسنة الكريمة وهو منقبة في الجاهلية(٣)، ولفظ (البرم) يجسد تلك المعاني من البخل والإمساك والتخلي عن الفقراء؛ لذا استحق أن يكون أبغض الرجال، وقد جاءت هذه اللفظة في الأمثال العربية(٤) .

(١) الميسر والقداح لابن قتيبة صـ: ٨٤.

(٢) السابق صـ: ٣٧.

(٣) الميسر والقداح لابن قتيبة: ٣٩،و خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ت: عبد القادر بن عمر البغدادي، تح: عبد السلام محمد هارون: مكتبة الخانجي، القاهرة ط: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م، ٢٤٧/٤.

(٤) منها: ألأم من الْبرم " – أَبْرَماً قَرُوناً :البَرَمُ: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبُخْله، والقَرُون: الذي يَقْرِن بين الشيئين، وأصله أن رجلا كان لا يدخل في الميسر لبخله، ولا يشتري اللحم، فجاء إلى امرأته وبين يديها لحم =تأكله، فأقبل يأكُلُ معها بَضْعَتين بضعتين ويَقْرِن بينهما، فقالت امرأته: أبْرَماً قَرُوناً، أي أراك بَرَما وقَرُونا. يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين، وجاء في المثل: (أَلأم مِنْ البَرَمِ القُرُونِ): كان هو رَجُلاً من الأبرام فَدفَع إلى امرأته قِدْراً لتستطعم من بيوت الأيسار؛ لأن بذلك كانت تجري عادةُ البَرَم، فرجعت بِالقِدْر فيها لحم وسَنَام، فوضعتها بين يديه وجمعت عليها الأَوْلاَد، فأقبل هو يأكل من بينهم قطعتين قطعتين، فَقَالَت المرأة: أبْرَماً قَرُوناً؟ فصار قولها مثلاً في كل بخيل يجر المنفعة إلى نفسه. ينظر: مجمع الأمثال للميداني النيسابوري ، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد– دار المعرفة – بيروت لبنان، ٢/ ٢٥٢.

أما وصف البرم بـ (اللئيم) فهومن مستلزمات البخل، وهو اسم لخصال تجتمع وهي البخل، فهو برم لا يدخل مع القوم في الميسر، واللئيم وصف مناسب للبرم، فاجتمعت فيه خصالتان جعلته من أولي الرجال الذين يبغضهم عمرو.

ثم أعقبه بوصف ثان (المُسْتَخْذِي للخصيم) دلالة على بغضه وامتهان كرامته، وهو أن يكون مُسْتَخْذِيًا خاضعًا مستكينًا مخاصمًا، وهما من أبغض الصفات أن يكون ذليلًا خاضعًا لا رأي له، ولا قيمة لوجوده، وليست له نخوة وكرامة يستحق أن يذكر بين الرجال، والتعبير باسم المفعول، وصيغة المبالغة دلالة على التأكيد والمبالغة والتكثير في خضوعه وانكساره، وذله وانقياده، ومخاصمته وعناده مع الناس .

ثم يدلل على بخله وامتهان كرامته (المبطان النهيم) فهمه نفسه وإشباع رغباته، وامتلاء معدته، فيكون همه الأول بطنه، فذكره بأبغض الأوصاف (المبطان)، فرَجُلٌ مِبْطانٌ، إذا كان لا يزال ضَخْم البطن يأكلُ أكلاً شديدًا دون أصحابه[1]، وليس هذا فحسب بل أسبغ عليه وصفا آخر وهو (النهيم)، فاستحق أن يكون مِبْطَانًا، فلماذا وصفه بالنهيم أيضًا؟ أولا: (النَّهُمُ والنَّهَامَةُ،: إِفْرَاطُ الشَّهْوَةِ في الطَّعَامِ)[2] وهو متحقق في كلمة المبطان، لكنه يأكل أكلًا شديدًا ولا يشبع، وهو ما زَادَه ابْنُ سِيدَهْ: (وإِن لاَ تَمْتَلِئَ عَيْنُ الآكِلِ، وَلاَ تَشْبَعَ)، وَقِيلَ: المَنْهُومُ: الرَّغِيبُ الَّذِي يَمْتَلِئُ بَطْنُهُ، وَلاَ تَنْتَهي نَفْسُهُ، ووصفه بـ (النَّهِيمُ) مطابق لامتلاء بطنه وكثرة طمعه، فهو صَوْتٌ كَأَنَّهُ زَحِيرٌ، وهو إخراج النَّفَس بأَنين عند شِدَّةٍ ونحوها، والتَزَحُّر مثله، وزَحَرَتِ المرأةُ بوَلَدها، وتَزَحَّرَت عنه إذا وَلَدَتْ[3]، وهذا الوصفان من لوازم البخل وضيق اليد، فيرتدا إلى المعنى الأول وهو(البرم اللئيم)، وبناؤهماعلى المبالغة

(١) اللسان والتاج مادة : ب– ط – ن.
(٢)السابق مادة: ن–هـ– م.
(٣)نفسه مادة: ز–ح– ر.

(مفعال– فعيل) دلالة على كثرة تكرار الفعل وتأكيده والمبالغة فيه لدرجة أن هذه طباعه وسجيته لم تتغير .

ويأتي قوله: (العيي البكيم) بعدما وصفه بأنه بخيلٌ لئيمٌ، خاضعٌ خصيمٌ، هَمُه في الحياة امتلاء بطنه، لا يعرف للشبع حدًا، وصفه بأنه عاجز عن كل شيء، فهو عيي وعيَّان لا يستطيع أن يعبر عن رأيه، فوصفه بـ (العيي) معرفًا بالألف واللام، وفصله عن سابقه لكمال الاتصال، واستقلاله عن غيره، فهذه الصفة كفيلة بأن يكون أبغض الرجال .

ولم يكتف بذلك بل ألصق به وصف(البكيم)، والبَكَمُ أَنْ يُولَدَ الإِنسانُ لَا يَنْطِق وَلَا يَسْمَع وَلَا يُبْصِر، بَكِمَ بَكَماً وبَكامةً، وَهُوَ أَبْكَمُ وبَكِيمٌ أَي أَخْرَس بَيِّن الخَرَس، وفرق بين الأخرس والأبكم(١)، فقيل: البَكَمُ: الخرَسُ مَعَ عِيّ وبَلَهٍ، وقيل: بَيْن الأَخْرسِ والأَبْكَمِ فَرقٌ فِي كَلَامِ العرَب: فالأَخْرسُ الَّذِي خُلِقَ وَلَا نُطْقَ لَهُ كالبَهيمة العَجْماء، والأَبْكَم الَّذِي لِلِسَانِهِ نُطْقٌ وَهُوَ لَا يعْقِل الجوابَ وَلَا يُحْسِن وَجْه الْكَلَامِ، والتعبير بصيغة المبالغة (فعيل) دلالة على التكثير والمبالغة والتأكيد على أنه يتكلم كثيرا ولكن لا يحسن الجواب، فصار بمنزلة الأخرس الذي لا عقل له، ولا يستطيع التعبير.

ثم ختم وصفه بقوله:(الذي إن سُئل مَنع وإن هُدد خضع) فالتعبير باسم الموصول يفيد بأنهم جديرون بتلك الأوصاف السابقة من بخل ولئم وسوء طباع، وهو مناف لصفة الكرم والجود كما سبق، فالبخيل إن سئل منع فضل عطائه، وإن وقع تحت التهديد والتحذير استكان وذل، والمقابلة تكشف تلك الجوانب السيئة لديهم، وهي المنع والتواري عند من يسألهم، والخضوع والاستكانة عند تهديدهم.

(١) اللسان والتاج مادتا: خ– ر– س، ب– ك– م.

والمتأمل يري أن تلك الصفات بنيت على وصف أحب الرجال ضع هذا القول مع قول(عمرو) بما ختم به حديثه لتبيين الفروق (الذي إن همَّ فعل، وإن سئل بذل)(الذي إن سئل منع، وإن هدد خضع، وإن طلب جشع) حيث زاد الأخير وصفا ثالثا وهو الشجع عند الطلب، وذلك لأنه بخيل لئيم همه في الحياة إشباع رغباته وأطماعه، فالمنع عند السؤال يقابله البذل عند السؤال، والفرق هنا واضح جلي، رجل يبادرك بالعطاء، وأخر يعاجلك بالمنع والشقاء، والكريم إذا همَّ بفعل شيء أمضاه، والأخر إن هدد جبن وارتدع وخاب سعيه.

والصنف الثالث المتوافر عند البخيل اللئيم أنه على الرغم ما به من صفات وطباع سيئة، غير أنه إذا بادره أحد بالطلب والإعطاء لا يقنع ولا يشبع ولا يردع، فهو من أبغض وأجبن الرجال.

وبناء الجملتين على أسلوب الشرط يدل على الترابط المحكم المنسق بوجود الشرط والجزاء في بناء واحد مع الترابط بينهما برباط محكم وهو التوسط بين الكمالين مما يدل على نسق مستمر يربط تلك الصفات ببعضها حتي تكون معلما على من تلك صفاته.

والتعبير باسم الموصول يوحي بالتنبيه على خطأ واقع، فأراد تقريره وتثبيته في النفوس؛ لتفادي الخطأ، والرجوع إلى الصواب، من خلال استهجان تلك الصفات التي تصاحب هذا الصنف من الرجال.

ثم يتوجه بالسؤال لربيعة: ما تقول يا ربيعة؟ سؤال يريد منه معرفة المزيد عن أبغض الرجال، ويري سعة علمه وثقافته، وهذا يرتد إلى المطلع الأول(وكان قد برعا في العلم والأدب).

قال ربيعة: غيره أبغض إلي منه قال: ومن هو؟ دلالة التفضيل توحي بأنه يبغض فيه تلك الصفات السابقة، وهناك أوصاف أخرى عنده أشد بغضًا وكراهية، وهنا يظهر ابتلاء العقول وسعة العلم والمعرفة ، ويلحظ أنه في هذ المرة لم يقل:(ما أحسن ما وصف) كما في مر آنفا في أحب الرجال وذلك لأن الذم والبغض

والانتقاص لا يقال له ذلك، ولكنه انتقل مباشرة معبرًا عن بغضه واستيائه لما يقوله بعد، فقال أبوه: مستفسرًا ومتشوقًا لمعرفة المزيد، وذلك له دور كبير في قدح زنادهما وتمحيص عقولهما ، وكشف خباياهما، وتلك طريقة ناجعة في الحوار الهادف البناء.

قال ربيعة: (النموم الكذوب) النم: التوريش والإغراء ورفع الحديث إشاعة له وإفسادًا، وتزيين الكلام بالكذب، ومعناه في كلام العرب: الذي لا يمسك الأحاديث، ولم يحفظها[١] فهو يمشي بالنميمة والكذب بين الناس، وهو أيضًا من لوازم البخل واللؤم والجبن فلا يستطيع المجابهة، ويكتفى بإيقاع الناس في النميمة والإفساد وعدم التصالح.

وبدأ ربيعة بذكرها أولًا؛ لأنه يترتب عليه تخريب البيوت، وتقطيع الأرحام والصلات، وإيقاع المجتمع في كثير من المشكلات، وبناؤهما على المبالغة (نموم- كذوب)على وزن (فعول) دون (فعَّال وفاعل) دلالة على تفشي وذيوع النميمة والكذب المستمر، ودلالة أيضًا على التأكيد والتكثير والمبالغة حتي صارت تلك طباعه وخصاله.

ثم ثني بوصفه (الفاحش الغضوب) الفُحْش والفَحْشاءُ والفاحِشةُ القبيحُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَجَمْعُهَا الفَواحِشُ، ومنه قول الله تعالي:(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).(النور: ١٨)، وأَما قَوْلُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ)(البقرة: ٢٦٧)، فمَعْنَاهُ: يأْمركم بأَن لَا تَتَصَدَّقُوا، وَقِيلَ: الْفَحْشَاءُ هَاهُنَا البُخْل، وهذه الصفة متفرعة من معنى البخل واللؤم، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي البَخيلَ فَاحِشًا، ومنه قول طَرَفَةُ:[٢]

(١) اللسان والتاج ن- م- م.

(٢) ديوان طرفة بن العبد تح: مهدي محمد ناصر الدين: دار الكتب العلمية، ط: الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م، ٢٦.

أَرَى المَوْتَ يَعْتامُ الكِرامَ، ويَصْطَفِى عَقِيلةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ

يَعْنِي الَّذِي جَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْبُخْلِ، أوالسَّيِء الخلُق الْمُتَشَدِّدُ الْبَخِيلُ، ومن الممكن أن يكون الفحش القبيح من الأقوال والأفعال، فيكون ربيعة قد وسع من دائرة الفحش لتسع دلالات أكثر، وهو مما يهدف إليه الحوار .

والغضوب نَقِيضُ الرِّضَا، رجل غَضُوبٌ وغَضِبٌ وغُضُبَّة وغُضُبٌّ أي كثير الغَضَب شديده فهو دائما ساخط غضوب. [1]، والتعبير باسم الفاعل (الفاحش) وصيغة المبالغة (غضوب) فيهما دلالة على الثبوت والدوام فهو دائمًا بخيل لئيم، قبيح الأقوال والفعال، ومن جهة المبالغة فيه دلالة على سرعة الغضب وذيوعه وانتشاره والتأكيد والكثرة.

وقوله:(الرغيب عند الطعام) فصلت عن سابقتها لكمال الاتصال فهي تصلح للتعبير عن أبغض الرجال، وهو أعظم ما يفتضح ويقدح في الرجل، أن يكون كثير الأكل شديد النهمة والشره، وبالطبع تنقص مرؤته، وتضيع هيبته، ويذهب وقاره، فالرُّغْبُ، بِالضَّمِّ: كَثْرَةُ الأَكلِ، وَشِدَّةُ النَّهْمة والشَّرَهِ، والواسع الجوف، والحريصُ عَلَى الدُّنْيَا، والتَّبَقُّرُ فيها[2].

والظرف في قوله:(عند الطعام) يبين بشاعة صورته وشدة نهمه وسعة جوفه، وبناؤها على المبالغة (فعيل) فيه دلالة على مجاوزة الحد، وشدة النهم، والوصف متفق مع أخيه:(المبطان النهيم) لكنَّ وصف ربيعة جاء لبيان شدة رغبته وسعة جوفه، فكان أبرع في الوصف، ويبدو لي أن وصفه بـ (الرغيب) أدق وصفًا من(مبطان)؛ لأن وزن فعيل فيه دلالة على أن هذا طبعه وخصلته ،ولأنه يدل على عظم رغبته وشديد حبه للطعام مع كبر بطنه وسعة جوفه .

(١) اللسان والتاج مادة: غ- ض- ب.
(٢)السابق مادة: ر-غ- ب.

وقوله:(الجبان عند الصدام) لا يستطيع المجابهة فيكتفى بإيقاع الناس في الخصومات، وإفساد المجتمعات، وهذا المعنى يرتد إلى قوله في بداية ما وصف (النموم الكذوب).

وهو وصف قريب من وصف أخيه لأبغض الرجال(إن هدد خضع)، وضع هذا المعنى في مقابل أحب الرجال (الباسل الذواد، الصادر الوارد) لتتبين الفرق بين من يتصدر المعارك ويقتحم المفاوز، ويدافع عن الحرمات، ويذب عن الأعراض، وبين من يتخلف في المواقف، ويكتفى بالوشاية وترويج الكذب بين الناس، ويتوارى خلف الأستار، ولا يقتحم المصاعب والأخطار، فاستحق هذا الوصف بالجبان .

وزاد المعنى تخصيصًا بقوله:(عند الصدام)؛ لأن الجبن في بعض الأحيان يكون وسيلة للنجاة والهرب من المأزق، ومواجهة الصعاب، وهو من فراسة الشجعان، ومراودة الفرسان، فالقيد هنا أعظم تبشيعًا وأشد تشنيعًا، لأنه إذا كان الجبن مذمومًا في كل حال فهو عند ملاقاة الأعداء أعظم ذمًا.

****

المحور الرابع :بلاغة التعبير عن صفات النساء

البناء المعماري في الحوار يتطلب أولويات عن العرض والتحليل، فتري الحوار مؤسسًاعلى قيم أخلاقية وفوائد تربوية داخل محيط الأسرة، ثم تنقل تلك الطبائع والأعراف إلى المجتمعات، فتسود القيم والأخلاقيات ويعم النفع والرخاء والاستقرار؛ لذا بدأ حواره بالحديث عن الرجال فهو قائد السفينة، وبه الصلاح والريادة، ثم ثني بالنصف الأخر الذي به بناء الأجيال، وترسيخ القيم والفعال.

بدأ مقاول حمير سؤاله لابنه الأكبر عمرو، قال: أخبرني يا عمرو أيُّ النساء أحبُّ إليك؟ قال: الهِركَوْلةُ اللَّفَّاء، المَمْكُورة الجَيْدَاء، التي يشفى السقيمَ كلامُها، ويُبْرئ الوَصِب إلمامُها، التي إن أَحْسَنْتَ إليها شَكَرت، وإن أسأتَ إليها صَبَرَتْ، وإن اسْتَعْتَبْتَها أعْتَبَتْ، القاصِرة الطَّرف، الطَّفْلة الكَفّ، العَمِيمَةُ الرّدف.

تري عمرو بني حواره على قيم جمالية، وأخرى أخلاقية، فبهما يكتمل جمال المظهر والمخبر، ولا غني لأحدهما عن الأخر.

فقال عمرو:(الهِرْكَوْلة اللُفاء): المرأة العظيمة الوركين، والحسنة الجسم والخلق والمشية. والهَرْكَلَةُ: ضرْب مِنَ الْمَشْيِ فيه اخْتيالٌ وبُطْءٌ، وفيه استرخاء للمفاصل في المشي[1]، ووزن الكلمة (فِعْلَولة) يؤكد تلك الحركة وما فيها من اختيال وحسن ودلال.

واللُّفُّ بالضَّمِّ: السِّمانُ الطِّوالُ والضَّخْمَةُ الفَخِذَيْنِ المكتنزة [2] والجمع: اللّفَّاء، وهو عيب في الرجل مدح للمرأة، فتداني الفخذين من السمن دليل على أنها امرأة كثيرة اللحم ملتفة القوام . تلحظ أن عمرو بدأ وصفه بمعنى أُمِ في هذا الباب ترتد كل المعاني إليه وتنهل من معينه، حيث جمع لها بين عظم الشأن، وحسن الخلق، فهي امرأة ممتلئة العظام، مرتجة الأرداف، ضخمة الأوراك، حسنة الخلق، يظهر

(١) اللسان والتاج مادة: ر– هـ– ك.

(٢) السابق مادة: ل– ف– ف.

عليها التنعم والدلال، وصفها بـ(الهِرْكَوْلة) يجمع لها كل الصفات السابقة، يقَوْلَ الأَعشى[١]:

هِرْكَوْلَةٌ فُنُقٌ دُرْمٌ مَرَافِقُهَا كَأَنَّ أَخْمَصَهَا بالشّوْكِ مُنْتَعِلُ

معناه أنها متقاربة الخطو، وقيل: لأنها ضخمة فكأنها تطأ على شوك لثقل المشي عليها.

ولم يفصل بين اللفظين بفاصل دلالة على شدة تقاربهما، وكمال اتصالهما فذكر (اللّفاء)؛لأنه إذا ضاق ملتقي فخذيها لكثرة لحمها يرتبط ارتباطا وثيقا بكونها (هِرْكَوْلَةٌ) أي:عظيمة الوركين حسنة المشية .

ثم أردف بقوله:(الممكورة الجيداء) فيلحظ أنه جمع بين صفتين متقابلتين، فوصفها بحسن خدالة الساقين، دقيقة العظام في لحمهما امتلاء، دلالة على الدقة واللين، مع جيد العنق وحسنه، والمَكْرَةُ: الساقُ الْغَلِيظَةُ الْحَسْنَاءُ، وامرأَة مَمْكُورَةٌ: مُسْتَدِيرَةُ السَّاقَيْنِ، وَقِيلَ: هِيَ المُدْمَجَةُ الخَلْقِ الشَّدِيدَةُ البَضْعَةِ، وَقِيلَ: المَمْكُورَةُ الْمَطْوِيَّةُ الخَلْقِ. يُقَالُ: امرأَة مَمْكُورَةُ السَّاقَيْنِ أَي خَدْلاء. وَقَالَ غَيْرُهُ: مَمْكُورَةٌ مُرْتَوِيَةُ السَّاقِ خَدْلَةٌ، شُبِّهَتْ بالمَكْر مِنَ النَّبَاتِ [٢].

ثم وصفها بأوصاف خُلقية (التي يشفى السقيمَ كلامُها، ويُبْرئ الوَصِب إلمامُها) فكلامها شفاء، ونظرتها تبرئ الوصيب، وتضمد الجراح، ويبدو لي أن سوق اسم الموصول هنا لزيارة تقريره في النفوس وتعظيم الموصوف به، والتعبير بالمضارع إشارة إلى استحضار صورتها العجيبة، وتجدد كلامها العذب الذي يثلج الصدور، وينعش القلوب، ويطيب النفوس.

وبناء لفظ (السقيم) على صيغة المبالغة فيه دلالة على التأكيد والمبالغة، وكثرة السقم والشقاء، وفى التقديم بـ(السقيم) تحقيق للدندنة الموسيقية والنغم السجعي الأخاذ فلو قال:(يشفى كلامها السقيم ويبرئ المامها الوصب) لضاع من الكلام

(١) ديوان الأعشى الكبير تح/ محمد محمد حسين ، بيروت ١٩٨٣م ،

(٢) اللسان والتاج مادة: م– ك– ر.

سحره وذهب رونقه، ثم إن في التقديم وضعًا للشيء بما يناسبه، فالسقم ألصق بالشفاء، والوصب ألصق بالبرء مع ما في التقديم من تشويق للمؤخر فترتقب النفس نهاية الكلام فيكون التركيز أقوي على لفظتي (كلامها- إلمامها).

ثم عطف عليها جملة أخرى من باب التوسط بين الكمالين، وبيان شدة الترابط والنسق المستمر، حيث قال:(ويُبرئ الوصْبُ إلمامها) وهي جملة مبينة على المقابلة والحسن في طيب كلامها وطلاقة ووجهها، وكلمة السقيم تقابل الوصب وهما يدلان على التعب والوجع، غير أن الوصب تعدد الوجع والمرض ولزومه، والتعب والفتور في البدن .

ثم يتابع القيم الجمالية التي تدل على طيب المنبت، وكرم المحتد، وعراقة الأصل في قوله: (التي إن أَحْسَنْتَ إليها شَكَرت، وإن أسأتَ إليها صَبَرَتْ، وإن اسْتَعْتَبْتَها أعْتَبَتْ) والتعبير باسم الموصول يدل على زيادة تقرير تلك الصفات، والتغني بها في جانب أحب النساء، وتعظيم وتفخيم ما اتصفت به فهي جديرة بتلك الأوصاف .

والجملة قائمة على حسن التقسيم المستوفى وبراعة المقابلة، حيث جمعت بين ثلاثة أمورلا تخلو منها الأمور الأسرية، فالمرأة بين الإحسان، والإساءة، والعتاب، وبناء المقابلة على (إن الشرطية) في جملها دلالة على الشك والندرة، وأن يكون مدخولها أمرًا مشكوكا فيه غير محقق ولا متيقن، وهذا يدل على أن النساء يتوقع منهن هذه الأمور .

والإحسان والشكر في مقابلة الإساءة والصبر، وشتان ما بينهما، وحياة المرأة لا تخلو من هذه الأمور،" ففي أسلوب المقابلة تري المعنى يوضح ضده ويظهره إظهارًا ويكشفه كشفًا، فالإحسان تزيده الإساءة وضوحًا؛ لأن للإحسان نورًا وإشراقًا وضياء وفرحا وسرورًا، وللإساءة ظلام وسواد وعتمة ليس فيها بصيص نور، ولها هَمٌ وحزنٌ وغمٌ، وللاستعتاب حب واحترام، وحفاظ سلام، ورجوع واهتمام.

وبناء جمل المقابلة على حذف مفعول (أحسنت- أسأت-استعتبت) تنزيلا لهذا اللازم منزلة المتعدي؛ لان المهم ليس هو المفعول، بل المهم أنه متي كان

منه إحسان شكرت صنيعه، وإن كان منه إساءة صبرت على فعله، وإن استعتبها عذرته"[١]، ومن الممكن أن يكون إطلاقها دون قيد فيه توسيع لدائرة الإحسان والإساءة والعتاب.

وفى تقديم صنيع(الإحسان)على فعل(الإساءة) رغبة في الأحسن وتفاؤلا ومسارعة بذكره؛ لأنه محبب إلى النفوس تقوم عليه الحياة الزوجية الخالصة، وفى تقديمه نشر لروح الأمل والتفاؤل والسكن والمودة.

وحذو تلك الجمل وبناؤهما بحيث يمكن وضع كل حرف وكل كلمة في الجملة الثانية بإزاء أختها التي تساويها وتعدلها في الجملة الأولي، وتأمل:(إن أَحْسَنْتَ إليها شَكَرت، وإن أسأتَ إليها صَبَرَتْ، وإن اسْتَعْتَبْتَها أعْتَبَتْ) ففي حسن التقسيم وحذوه على بناء محكم متماسك فيه مزيد عناية بتثبته وشيوعه في النفوس بهذه الصياغة التي ترسخه في الذاكرة وتعين على حفظه وتذكره بما فيها من ألفة وأنس بين الألفاظ والمعاني[٢] .

بعدما ذكر بعض قيمها الأخلاقية من الشكر والصبر ينتقل إلى القيم الجمالية وذلك في قوله:(القاصِرة الطَّرف، الطَّفْلة الكَفّ، العَمِيمَةُ الرّدف) ليجمع بين طيب عشرتها وجمالها الحسي، حيث جعل تلك المرأة الحسناء قاصرة طرفها على زوجها، لا تطمح ولا تتطلع لغيره، وجاء التعبير باسم الفاعل الدال على الثبوت والدوام، وتأصل تلك الصفة في طباعها، وهو منهج قرأني وإن كان في عرصات القيامة وعند دخول الجنة(فيهن قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)(الرحمن: ٥٥)، وقصور الطرف في الأصل موضوعة للعفاف على جهة التوابع والأرداف؛ وذلك أن المرأة إذا عفّت قصرت طرفها على زوجها، فكان قصور الطرف ردفًا

(١) من الأسرار البلاغية في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند توليه الخلافة أد/ سلامة جمعه دواد، – مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود العدد الثالث والثلاثون – ١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م،١٥، ١٩

(٢)السابق مج/٣٣ ، ٢٠-٢١ .

للعفاف، والعفاف ردف وتابع لقصور الطرف، وفيه إشارة للعفاف. [١]، ويومىء إلى قول امرئ القيس: [٢]

من القاصِرَاتِ الطَّرْفِ لوْ دبّ مُحْوِلٍ من الذَّرّ فَوْقَ الإتْبِ منها لأثّرَا

ثم أعقبه بوصفين حسيين أنها طَفْلة الكف والرخص، عميمة الأرداف، وهما كناية عن التنعم والترف والتدلل ، فالطَّفْلة: النَّاعمة الرَّخصة والبَنان الرَّخْص والحديثةُ السِّنِّ، وَجَارِيَةٌ عَمِيمَةٌ وعَمَّاءُ: طَوِيلَةٌ تامةُ القَوامِ والخَلْقِ[٣].

ثم توجه والدهما مقاول حمير بالسؤال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: نَعَتَ فأحسن، غيرُها أحبُّ إليّ منها، قال: ومن هي؟ قال: الفتَّانَةُ العينين، الأسِيلَةُ الخَدَّين، الكاعِبُ الثَّدْيَيْن، الرَّدَاحُ الوَرِكين، الشاكرة للقليل، المساعدةُ للحَليل الرخيمة الكلام، الجمّاء العظام الكريمة الأخْوال والأعمام، العَذْبة اللِّثام.

طريقة السؤال من الوالد لأولاده فيه ترسيخ لمبادئ المحاورة الناجعة، التي تكشف الحقائق، وتوضح المفاهيم ، وهكذا يكون التعامل في الأسرة ، حوار هادف، رؤية واسعة، نقاش يبني ويؤسس.

وردُّ الابن في غاية الأدب والتواضع وحسن التربية، حيث قال: (نعت فأحسن) ففيه إشادة ونفع وبراعة في الوصف لما ذكره أخوه عمرو، فلا ينتقص من قدره، ولا يحط من شأنه، فلأخيه رأي ومشورة .

وإن كان هناك من إضافة فالأمر متسع للجميع، تأمل قوله في أدب ولطف (غيرها أحب إلي منها) إنه حوار هادف يتسع لطرح الأفكار، وإضافة الفوائد التي تخفى عن الطرف الآخر، وهذه قيمة الحوار البناء الذي يرسخ القيم ويؤصلها في النفوس البشرية .

---

(١) كتاب الصناعتين:٣٥٠.

(٢) ديوان امرِئ القيس : عبد الرحمن المصطاوي دار المعرفة- بيروت ، ط: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ٩٧.

(٣)اللسان والتاج مادة:ع- م- م

فقال الوالد في شوق وترقب(ومن هي)؟ للفت الانتباه، وإيقاظ العقول، فقال ربيعة:(الفَتَّانَة العينيين) والفتان: من أبنية المبالغة في الفتنة، وهي مأخوذة من الفتنة والاختبار، ويسمي الشيطان: فتَّان لتزيينه وغروره وكثرة شروره[١]، والرجل يُفتن بالمرأة يقع في حبائلها وشباكها ويتيه في غرامها.

وبناء الكلمة على صيغة المبالغة(فتَّان) دلالة على الكثرة والمبالغة والتأكيد على كثرة فتنتها وإيقاع الناس في شراك حبها، ويلحظ أن ربيعة بدأ بمفاتن المرأة التي تخطف النظر من أول وهلة، لا شك في أن العيون قد كثر وصفها والتغني بجمالها لما لها من سحر وتأثير، إذ أفرد لها ابن حزم في طوق الحمامة باب الإشارة بالعين، وأدرك أهمية العين ودورها الفعال في جمال الحب تعلقا ومخاطبة، وتواصلا روحانيًا، فقال :العين تنوب عن الرسل، ويدرك بها المراد"[٢].

فبدأ بذكر جمال العينيين، فجمالها بارع وفتانة قاتلة، وتآسر القلوب وتسبي العقول، يقول جرير مبينا فتنة وجمال العيون[٣]:

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِين قَتْلَانَا

وذكرت فتانة العينين، بفتورهما وسحرهما، قتالة الهوى، بتمكينه من النفوس، واستيلائه عليها[٤].

ثم ثني وتدرج في الوصف عبر الخدود الأسيلة، وهما متجاوران، فالأَسِيلُ: الأَمْلس الْمُسْتَوِي، السَّهْلُ الليِّن الدَّقِيقُ الْمُسْتَوِي وَالْمَسْنُونُ اللَّطِيفُ الدَّقِيقُ الأَنف والأَسَالَة في الْخَدِّ الِاسْتِطَالَةُ وإن لَا يَكُونَ مُرْتَفِعَ الوَجْنة ،[١] يقول ذو الرمة[٢]:

---

(١) السابق مادة: ف– ت– ن

(٢) طوق الحمامة، ابن حزم، صـ : ١٣٧ .

(٣) ديوان جرير صـ :

(٤) شَرْح شِعْر المُتَنبي – السفر الأول ت: إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن الإفليلي / تح: الدكتور مُصْطفى عليان– مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ط: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، ٢ / ٢٠.

فيا لكَ مِنْ خَدٍّ أسِيلٍ وَمَنطِقٍ رَخِيمٍ وَمِنْ خُلقٍ تَعَلّلَ جاذِبُه

ثم تدرج فذكر جمال صدرها(الكَاعِبُ الثَّدْيَيْن) وهو ما يلي الخدود الأسيلة، وكَعَبَتِ الجاريةُ، تَكْعُبُ وتَكْعِبُ: نَهَدَ ثَدْيُها، وَجَارِيَةٌ كَعابٌ ومُكَعِّبٌ وكاعِبٌ، وجمعُ الكاعِبِ كَواعِبُ. وكِعاب. وهي المرأَةُ حِينَ يَبْدو ثَدْيُها للنُّهود[٣].

ثم كشف عن جمال مشيتها وامتلاء فخذيها، فقال: (الرَّدَاحُ الوَرِكين) وامرأَة رَدَاحٌ ورَدَاحَة ورَدُوحٌ: ضَخْمَةُ الْعَجِيزَةِ، ثَقِيلَةُ الأَوراك تامَّة الخَلْق وَالْجَمْعُ رُدُحٌ[٤]، وهو كناية عن حسن التنعم والتدلل.

ثم عاد بذكر قيم أخلاقية قائلا:(الشاكرة للقليل المساعدةُ للحَليل الرخيمة الكلام الجمّاء العظام الكريمة الأخْوال والأعمام العَذْبة اللِّثام) فجعل أحب النساء من تشكر على القليل، وتساعد الحليل، وهما من أعظم ما يمتدح به النساء، ويلحظ أن(عمرو) فصّل في أمر الإحسان والإساءة ولم يحدد، ولكن ربيعة قيَّد الوصف بـ (القليل) فأي معروف يقع، وأي عطاء يقدم، تقوم بتأدية شكره، فأقل القليل تقوم بالوفاء بحقه، وتحف صنيعه.

والتعبير باسم الفاعل في الجملتين(الشاكرة- المساعدة) فيه دلالة على الثبوت والدوام، ولا تكتفى بأن تكون شاكرة لأقل القليل فحسب، بل هي مساعدة ومعينة للخليل، وبناء الفعل على المشاركة فيه نوع من الأنس وتحمل المسئولية مع زوجها، والوقوف بجانبه في أصعب اللحظات، واشتداد الأزمات، والتعبير بـ

=

(١) اللسان والتاج مادة : أ- س- ل.

(٢) ديوان ذي الرمة صـ:

(٣)اللسان والتاج مادة: ك-ع-ب.

(٤)السابق مادة: ر- د-ح.

(الشاكرة) دون (الحامدة)؛ لأن الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم والثناء الحسن[١].

وحسن التقسيم ومراعاة النظير بادية جلية، فلا يتوقف الأمر عند النساء بالشكر للقليل، بل ويمتزج بروحها وحسن تربيتها أن تساعد زوجها في أمور حياته وحل مشكلاته، والجناس اللفظي بين (القليل– الحليل)لاختلاف ركنيه يعمل على اختزال البنية، وإحداث نغم موسيقي خلاب من خلال المراوغة والمخاتلة التي يحدثها عند سماع صوت الكلمتين، وتباعد مخرجي القاف والحاء مما يؤكد على لزوم المساعدة والشكر على القليل، ومساندة الحليل فهما يصبان في مصلحة واحدة سواء في بيتها، أو في بيت زوجها .

فصوت القاف فيه قلقة وجلبة، وضيق يد، وصوت الحاء فيه حرقة وتألم وتحمل من أجل وقوفها بجانب زوجها معينة له تشد من أزره، تأخذ بيده، تساعده في محنته؛ للخروج من كبوته وشدته، والصفة المشبهة(قليل– حليل) تفيد ثبوت الصفة بقدر كبير من الدوام والاستمرار.

ثم ختم كلامه عن أحب النساء بتلك الأوصاف المتتابعة على نسق واحد حيث قال:(الرخيمة الكلام، الجمّاء العظام، الكريمة الأخْوال والأعمام، العَذْبة اللِّثام) حيث جمع في هذه الصفات التي على حذو واحد، وسبك محكم بين القيم الأخلاقية والجمالية، المتمثل في الحسب وطيب المنبت، واللين في الكلام وكثرة اللحم فليس لعظمها حجم، مع عذوبة اللسان، وكرم الأخوال والأعمام ، فاكتساب تلك الصفات منبعها نجابة الأصل وطيب الفرع.

(١)معجم الفروق اللغوية للعسكري/ تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي: مؤسسة النشر الإسلامي ط: الأولى، ١٤١٢هـ، ١/ ٣٠١ .

"قال بعض العرب: إذا حسن من المرأة خفياها حسن سائرها، يعني صَوْتُهَا وأثر وَطْئِهَا، لأنها إذا كانت رخيمة الصوت دل ذلك على خَفَرِهَا، وإذا كانت مُتَقَاربة الخطى وتمكن أثر وطئها دل ذلك على أن لها أَرْدَافًا وأَوْرَاكًا"[1] .

والرُّخامة: لينٌ حسنٌ في منطق النساء. وقد رَخُمَتْ رَخامةً فهي رخيمة الصوت، وقد رَخُمَ كلامها وصَوْتُها[2]، وهو من محاسن المرأة ؛ لأنه يترتب عليه حسن العشرة، ولين الجانب؛ لأن المرأة إذا كانت رخيمة الكلام تطلب شدة الحياء وطيب الحديث .

ثم ثني بكونها كثيرة اللحم ليس لعظامها حجم، وهو ما يتناسب مع قول أخيه(الهركولة اللَّفاء).

ثم أردف قائلًا مبينًا بعض الصفات المتعلقة بطيب الأصل والفرع حتي تكتمل الصورة في بيان أحب النساء، فلا ينظر إلى الجانب الجمالي عند النساء، بل ينظر إلى الجانب الأسري أيضًا المتمثل في الأعمام والأخوال مما يدل على طيب المنبت، وعراقة الأصل .

وذلك لأن النساء ينقلن صفات كثيرة جدًا من الأعمام والأخوال من جهة الطباع والأخلاق؛ فالرجل إذا تزوج من منبت صَالح يَجِيء الْوَلَد يشبه أصل الزَّوْجَة في الْأَعْمَال والأخلاق وَعَكسه.

والزوجة تختار من أناس طيبين، ومن أناس خيار، لأنه إذا كان في أصلها سوء فإنه قد يسري على الفروع ما هو موجود في الأصول.

ويلحظ الفصل بين الجمل لكمال الاتصال وبيان كل صفة مستقلة تصلح أن تكون لها أهلًا، وختام الكلمات بحرف الميم يدل على كمال اتصافها وبيان محاسنها

(١) إصلاح المنطق ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، تح: محمد مرعب – دار إحياء التراث العربي ط: الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م، ٢٨٠.

(٢) العين مادة: خ–ر–م ، ت: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري ، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال.

وحرف الميم وما يوحيه من إطباق الشفتين يدل على تمام النعمة، واجتماع صفات الحسن والجمال، وكرم الفعال، وعراقة الأعمام والأخوال.

ومن جمال المحاورة وتوافر المعاني على الأبناء تجد لها ثمرة نافعة، وحب لغريزة الاستطلاع، وإيقاظ العقول لمعرفة نتيجة المحاورة، فإذا تنعمت النظر وجدتهما يتكاملان، حيث ذكر عمرو جمال المشية في الارتهاك، قاصرة الطرف، طفلة الكف .

ووجدت ربيعة يتمم تلك المعاني القائمة على الحوار المفيد الذي يقوي ويرسخ تلك المفاهيم فيذكر في جمالها وحسن نعوتها (الرَّدَاحُ الوَرِكين، الجمّاء العِظَام) لتكتمل تلك الصورة مع سابقتها في بيان حسن مشيتها وارتخاء مفاصلها مع ما ذكر عمرو من ضيق فخذيها دلالة على شدة اكتنزاها، وحسن تثنيها .

وكذلك تكتمل صورة المحاورة الناجعة في تطابقهما؛ لبيان حسن حديثها وعذوبة لثامها في قول عمرو(التي يشفى السقيم كلامها، ويبري الوصب إلمامها)، وقول ربيعة(الرخيمة الكلام، الجماء العظام، العذبة اللثام) هنا تؤتي المحاورة ثمارها، ويظهر أثرها وتعم فائدتها .

ثم ينتقل الوالد لسؤال ولديه عن الصنف المقابل ألا وهو(أبغض النساء) يتوجه بسؤال لعمرو قائلا له:فأيُّ النساء أبغضُ إليك يا عَمْرُو؟ قال: القتّاتة الكَذُوب، الظاهرة العيوب، الطَّوَّافة الَهَبُوب، العابسة القَطُوب، السَّبَّابة الوَثوب، التي إن ائتمنها زوجها خانته، وإن لاَنَ لها أهانته، وإن أرضاها أغْضَبته، وإن أطاعها عَصَتْه.

السؤال بـ (أيّ) اسم مبهم بحسب ما تضاف إليه تصير جزءًا منه، إنْ أضفتَها إلى الزّمان فهي زمان، وإن أضفتها إلى المكان فهي مكان إلى أيّ شيء أضفتها كانتْ منه [1]، وهي من الأسماء "الملازمة" للإضافة"أي": ويجوز إضافتها إلى النكرة بلا شرط وإلى المعرفة بشرط إفهام.

(١) يُنظر: شرح المفصّل ٤٤/٧.

وافتتح عمرو جوابه بقوله:(القَتَّاتة الكذوب)، والكذب عادة قبيحة منبوذة، توقع الناس في المشكلات، وخراب البيوتات، فالقَتُّ: المشي بالنَّميمة، وقَتَّاتٌ: نَمَّام، يَقُتُّ الأَحاديثَ قَتًّا أَي يَنِمُّها نَمّاً، وهُوَ الَّذِي يَسْتَمِعُ أَحاديثَ النَّاسِ مِن حيثُ لَا يَعْلَمُونَ، نَمَّها أَو لَمْ يَنُمَّها. وامرأَة قَتَّاتةٌ، وقَتُوتٌ: نَمُومٌ، وقولٌ مَقْتُوتٌ: مكذوبٌ(١)، ووصفه بالكذب، ويلحظ أنه لا يفصل بينهما بفاصل، فهي امرأة قتاتة، ومن نَّمها وإيذائها للناس هي كذوبة كذلك، فاجتمع فيها وصفان: مشي بالنميمة، وكذب وادعاء .

وبلاغة التعبير تقتضي صيغتي المبالغة (قتاتة- كذوب) دلالة على تبشيع جرمها، وشناعة فعلها، كما أن وصفها بـ(الكذوب) أبلغ من وصفها بـ(كاذبة، أو كذابة) لأن حركة الضم في فعول تدل على تمرسها الكذب حتي صار طبعها وسجيتها.

وعند التأمل تري التوافق والانسجام بين وصف أبغض النساء، وما سبق من ذكر أبغض الرجال، حيث جاء في وصفه، وهو أيضًا أول وصف لأبغض الرجال: النموم الكذوب، فصادف أهله، ووافق فعله، ووجد صهره.

ثم ثني عمرو وصفه لأبغض النساء بقوله:(الظاهرة العيوب) فأخلاقها سيئة لدرجة ظهورها وتفشيها في الناس من خلال تصرفاتها، ومعاملاتها مع الناس، فطباعها سيئة، وأفعالها خبيثة ظاهرة للجميع.

ثم فصَّل في تلك العيوب، فقال: (الطَّوَّافة الَهَبُوب، العابسة القَطُوب، السَّبَّابة الوَثوب) ويلحظ أنه فصل بين تلك الصفات لكمال الاتصال، فكل صفة تصلح للتعبير عن تلك المرأة، فهي كثيرة التردد على البيوت، ووجها عابس، وكثيرة السِباب.

(١) اللسان والتاج مادة: ق- ت- ت.

فصَّل في أوصافها بعدما أجملها في قوله:(الظاهرة العيوب) وهذا يحدث تشويقًا وانتباهًا لمعرفة ذكرها، وتمكن المعنى في النفس فضل تمكن لمعرفة أسرارها وما تطويه من طبائع سيئة بادية جلية.

وترتيب الصفات وتتابعها يأخذ بالمتلقي للتدرج في تفاصيل تلك العيوب، فوصفها بأنه امرأة خفيفة كثيرة التردد على البيوت، ودائمَا ما تثير الغبرة والهوجاء دلالة على خفتها وتطيرها، فمادة هَبَّتِ الريحُ تَهُبُّ هُبُوباً وهَبِيباً: ثارَتْ وهاجَتْ[١] وهو وصف مناسب للطوافة، ولم يفصل بينهما بفاصل لكمال الاتصال دلالة على شدة التلاؤم والتوافق .

وليس هذا فحسب بل وصفها بأنها امرأة عابسة الوجه كالحة مع تَكشُر، تأمل التعبير باسم الفاعل(العابسة)وما فيه من دلالة على الثبوت والدوام على تلك الهيئة المنقبضة الوجه، فصارت صفة ملازمة لها، وزاد الأمر بشاعة ونفورًا أن وصفها بـ (القطوب) وهي انقباض ما بين العينيين وإنزواء الحاجبين [٢].

ثم ترقي في المعنى فجعلها(سبَّابَّة وثوب) أي: كثيرة السباب تسارع وتبادر بالسباب والإهانة حتي صارت ملازمة لها لا تنفك عنها، وبناؤهما على صيغتي المبالغة (فعَّال وفعول) دلالة على التأكيد والمبالغة وتأصل تلك الصفات فيهن، فالسّبَّ: الشتم، رَجُلٌ سِبٌّ: كثيرُ السِّبابِ[٣]، وإيثار التعبير بـ (السَّبَّ) دون(الشتم)؛ لأن السّبَّ الإطناب في الشتم والإطالة فيه، أما الشتم فهو تقبيح أمر الشتوم بالقول[٤] .

وترقي في الوصف فلم يكتف بكونها كثيرة السباب، بل تبادر وتسارع إليه وتتلذذ بفعلها القبيح، فوصفها بـ (الوثوب) مبالغة في شناعة الفعل وقبح الإقدام

(١)اللسان والتاج مادة: هـ– ب– ب
(٢)السابق مادة: ق– ط– ب.
(٣) السابق مادة: س– ب– ب.
(٤) الفروق اللغوية ١ / ٥٢ .

عليه؛ لأن الوُثوبَ: المُبَادَرَةِ للشَّيْءِ والمُسارَعةِ إِليه[1]، والتعبير بصيغة المبالغة (فعول) تدل على المبالغة والتأكيد من تأصل تلك الصفات القبيحة وتعلقها بها.

ثم قال:(التي إن ائتمنها زوجها خانته، وإن لاَنَ لها أهانته، وإن أرضاها أغْضَبته، وإن أطاعها عَصَتْه). تطرق للحديث عن أخلاقها وطباعها مع زوجها، فوصفها بأقبح الصفات، فجعلها خائنة عند الائتمان، تهين زوجها إذا تحنن ولان، تغضبه إذا أرضاها، تعصيه إذا أطاعها، نشوز عجيب، وطاعة من زوجها أعجب .

تبين المحاورة أدق خصائص المرأة البغيضة إلى الناس عمومًا، وإلى زوجها أدق خصوصية، فالأمانة شرف الإنسان، فيه يحفظ السر، ومكمن الخفايا، ولين الجانب من الزوج تجاه زوجه مطلب رئيس بغية انتشار روح المودة والألفة بينهما، وكسب رضاها، وطاعتها في تيسير الأمور، وانتظام الحياة وسيروتها، وهذه الأمور مطلوبة وواجبة من الزوج تجاه رفيقة الدرب، والسند والمعونة عند اقتحام الصعاب، ومواجهة التحديات في مشاق الحياة .

لكن المرأة البغيضة تستغل تلك الجوانب المضيئة في حياة الزوج، وتطفئ شمعة التواصل والود القائم في الحياة الأسرية فتفعل الضد منه.

والطباق وحسن التقسيم يكشفان هذا الجانب في أسلوب بديع رائق، تأمل الأمانة والخيانة، واللين والإهانة، والطاعة والعصيان، والرضا والغضب، وإذا وضعت تلك الصفات البغيضة في مواجهة تلك الصفات الحسنة التي مر ذكرها في أحب النساء، لأدت المقابلة دورها وكشفت مكنونها تجاه تلك المرأتين.

والتعبير باسم الموصول يشوق المتلقي لمعرفة تلك الأسرار والخفايا، وتقرر تلك المعاني في النفس البشرية، فلولا التمحيص والتحري الدقيق ما عرفت تلك الجوانب النفسية في طباع الناس.

(١) اللسان والتاج مادة: و– ث– ب.

ثم يتوجه مقاول حمير بالسؤال لربيعة، قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: بئس المرأة ذَكَرَ وغيرُها أبغضُ إليّ منها، قال: وأيتهنَّ التي هي أبغض إليك من هذه قال: السَّليطة اللسان، المؤذية الجيران، الناطقة بالبُهتان، التي وجهُها عابس، وزوجُها من خيرِها آيس؛ التي إن عاتبها زَوْجُها وَتَرَتْه، وإن ناطقها انتَهَرَتْه، قال ربيعة: وغيرها أبغضُ إليّ منها، قال: ومن هي؟ قال: التي شقي صاحبُها، وخَزيَ خاطبُها. وافتضَح أقاربُها، قال: ومن صاحبُها؟ قال: صاحبها مِثْلُها في خصالها كلها، لا تصلحُ إلاّ لهُ ولا يصلح إلاّ لها، قال: فَصِفْه لي، قال: الكَفُور غير الشكور، واللئيم الفَخُور، العَبُوس الكالح، الحَرون الجامح، الراضي بالهوان، المُخْتال المنان، الضعيف الجَنَان، الجَعْد البنان، القؤول غير الفعول غيرُ الوَصُول، الذي لا يَرِع عن المحارم، ولا يرتدع عن المظالم.

توجيه السؤال لربيعة فيه تنبيه وإيقاظ وتشويق لمعرفة صفات أكثر، وخفايا أعظم في هذا الجانب وذلك؛ ليحقق ما أُركز عليه في مقدمة المحاورة (ليبلو عقولهما ويعرف مبلغ علمهما) فابتلاء العقول فيه دلالة على قدح زناد الفكر، وبيان خلاصة تجربتهما في الحياة، ومعرفة نضج عقلهما ومبلغ علمهما .

والمقولة الثانية: (برعا في العلم والأدب) التي تدل على كمال الفضائل والتفوق على أصحابه في السؤدد ، فتؤتي المحاورة ثمارها .

تأمل قول ربيعة:(بئس والله المرأة ذكر) أسلوب ذم وتقبيح لتلك الأوصاف، والذم والقبح منبعه تصوير وترتيب هذه الصفات في النفس، ومن ثم استحضارها ماثلة أمامه فكأنه يراها رأي عين، والذم والقبح ناشئ من كون النساء عمومًا موطن الرقة والجمال والأنس والدلال، والكلام العذب المثال.

ثم قال:(وغيرها أبغض إلي منها) ثبت في ذهن الوالد والمستمعين أنه لم يكتف بما قاله أخوه عمرو بدلالة قوله: (بئس المرأة ذكر) وهي إشادة وبراعة ودقة في الوصف، فلم يبخس حق أخية في الإشادة بما وصف، وهذه قيمة المحاورة الناجعة التي تعترف لكل واحد بالفضل بغية الوصول إلى تقصي الحقائق، ومعرفة الصواب.

وفى أسلوب رائق ينم على القمة في الأدب والتحلي بالأخلاق الفاضلة، وتأثير العلم النافع في صاحبه، يقول:(وغيرها أبغض إلي منها) والتعبير بأفعل التفضيل لا يعني انتقاص من قيمة ما وصف قبل، ولكنها أضافات أخرى ورؤية أوسع؛ لتبادل المعارف، وكسب الخبرات، وتوسيع مدراك العقول.

فقال الوالد في شوق ودهشة:(وأيتهن التي هي أبغض إليك من هذه) الدهشة والتعجب حاصلان من كيفية سماعه وتصوير تلك المعاني التي قالها عمرو أخوه وإشادته بها، فسأل متعجبًا وتشوقًا لمعرفة المزيد من خصائص تلك المرأة.

قول ربيعة: (السليطة اللسان المؤذية للجيران) يكشف هنا عن امرأة (ظاهرة العيوب) تأمل طريقة المحاورة التي تقوم على تبادل الأفكار، وتنوع المعرفة، فلم يجد ربيعة عيبًا أن يفيد مما ذكره أخوه فيبني ويؤسس لحواره الاستئناس والتعلم، وهذا يدلل على قيمة الحوار الذي يؤسس ويرسخ القيم، ويبني الأمجاد.

ووصفها بقوله: (السليطة اللسان) والسلاطة لها معنيان: أَحدهما أَنها حَدِيدَةُ اللِّسَانِ، وَالثَّانِي أَنها طَوِيلَةُ اللِّسَانِ، وَذَلِكَ إِذا طَالَ لسانُها واشتدَّ صَخَبُها. سَلِيطَةُ اللِّسانِ، فاحِشَة، طَوِيلَة اللِّسانِ(١).

التعبير بصيغة المبالغة (سليط) على وزن (فعيل) فيه دلالة على التأكيد والمبالغة في تطاولها وحدتها وفحشها .

و(أل) التعريف يدل على كمال الموصوف واشتهاره به، كما أن إضافة السليط إلى اللسان زاد من الأمر بشاعة ونفورًا من تلك المرأة، فالسليط من لوازم اللسان .

ثم عطف عليها قوله:(المُؤذية للجيران) العطف هنا فيه مزيد خصوصية وهي أن تلك المرأة طويلة اللسان، فاحشة القول على جميع الناس حتي على أقرب الأرحام وهم الجيران، لا ترتدع وتكف أذاها عنهم، والجار له خصوصية كبيرة ففيه

(١) اللسان والتاج مادة: س–ل– ط.

المنعة والحماية والقوة، واذا كانت المرأة حادة اللسان غليظة القول على الناس، لكن الجيران لهم فضل مزية بحكم الجيرة.

(الناطقة بالبهتان) البُهْتانُ: الباطلُ الَّذِي يُتَحَيَّرُ مِنْ بُطْلانِه، وَهُوَ مِنَ البَهْتِ التَّحَيُّر، والأَلف وَالنُّونُ زَائِدَتَانِ، والبَهْتُ: الانقطاعُ والحَيْرَة. رأَى شَيْئًا فبُهِتَ: يَنْظُرُ نَظَر المُتَعَجِّب(١).

يلحظ التعبير باسم الفاعل (المُؤذية– الناطقة) المحلي بالتعريف دلالة على الثبوت والدوام، وأنها صارت مشهورة بين الناس فأصبحت طباعها وسجيتها، لا يسلم أحد من لسانها تؤذي أقرب الناس إليها ، وتنطق بهتانًا وضلالًا.

ثم يتدرج قائلا: (التي وجهُها عابس، وزوجُها من خيرِها آيس؛ التي إن عاتبها زَوْجُها وَتَرَتْه، وإن ناطقها انتَهَرَتْه)، والتعبير باسم الموصول (التي) يعود إلى تلك الصفات السيئة المجتمعة في تلك المرأة ، وإنها جديرة بتلك الأوصاف .

وتوظيف اسم الفاعل (عابس–أيس–عاتبها–ناطقها) فيه دلالة على الثبوت والدوام فهي ملازمة لتلك الحالات لا تنسلخ منها، وتساهم دلالة اسم الفاعل في تحقيق الإمتاع والإقناع تجاه المتكلم والمتلقى .

ثم عطف عليها جملة أخرى للتوسط بين الكمالين؛ لبيان بشاعة تلك المرأة، وعدم خيريتها، فمن الممكن أن تكون عابسة الوجه مرة، ثم يتغير حالها في أوقات فرح أو بشر، تراه أغلق الباب دونها، فجعل زوجها من خيرها آيس، العطف فيه مزيد أهمية؛ لأنه حدد الزوج ففصل بعد إجمال، فإذا كانت المرأة عابسة الوجه متغيرة الملامح، إلا أن الزوج ولزومها تلك الحالة أشد ضررًا على المجتمع؛ لأن بها قوام الحياة الزوجية .

والجار والمجرور في قوله: (من خيرها) يبين انعدام وجوه الخير في وجودها، ويبدو لي أن الخير الذي يقصده هو بشاشة وجهها وطلاقته، وتفريج الهم عن

(١) اللسان مادة : ب– هـ – ت.

زوجهاعندما يكون في محنة وشدة، والتعبير بـ (اليأس) فيه دلالة على انقطاع المطمع فلا يرجي منها نفع، وهو أشد ما يبتلي به الزوج إذا صادف زوجًا بتلك الصفة.

ثم يقول: (التي إن عاتبها زَوْجُها وَتَرَتْه وإن ناطقها انتَهَرَتْه)العتاب أمر يقع فيه جميع البشر شريطة أن يكون باللين والاستعطاف بغية الإصلاح، وخصوصا بين الزوجين، فالحياة لا تخلو من أكدار ومنغصات، فلا بد أن يصفو كل طرف للأخر، وأن يتوافر الصلح والخير بين الزوجين لكي تستقيم الحياة.

هذه الزوجة عكس ذلك فمبجرد أن يعاتبها زوجها على خطأ ارتكبته، أو تصحيح أمر ما، لا تدع له فرصة يكمل كلامه فتظلمه وتتنقص من حقه وقدره، ولم تكتف بذلك فإذا تحدث معها في حديث استقبلته بكلام تزجره عن خبر وتنهره، يقال نَهَرْتُه وانتهَرْته، إذا استقبلِته بكلامٍ تَزْجُرُه عَن خَبَرٍ[1].

تأمل تلك المقابلة اللطيفة ، وطريقة الفصل لكمال الاتصال فهو بمنزلة التأكيد لما سبق، حيث خص المرأة عموما، ثم فصّل في أمر الزوجة ، وهنا يرصد خصالا سيئة أخرى، والتعبير بـ (إن) الشرطية وفيها معنى الشك والندرة كذلك، لأنه لما كانت زوجة سليطة اللسان مؤذية للجيران، فالحديث معها يصعب، والحوار معها لا يجدي، فزوجها لا يأمن مكرها، ولا يطمع في خيرها .

ضع هذه العبارة مع قول عمرو في أحب النساء: (وإن استعتبتها أعتبت)؛ لبيان الفرق بين زوج يحافظ على الترابط الأسري، والرعاية، ومن يقطع الأوصال، ويشرد الأسرة.

وتتجلي براعة المقابلة وحسن التقسيم فكل كلمة بإزاء أختها تبين معاناة الزوج في سبيل استقرار الأسرة وجمع شتاتها، تأمل قوله: (عاتبها– ناطقها) فاقتران الهاء

(١) اللسان والتاج مادة ن–هـ – ر.

مع الألف تبين المعاناة وقوة التحمل في مواجهة تلك المرأة التي لا يرجي منها خير ولا منفعة .

وضع كلمة(وترته) في مقابل(انتهرته) فهما من واد واحد، وهو هضم حقه، وانتقاص قدره، وعدم ترك فرصة للتعبير عن رأيه، وهذا يبين مدي غلظتها وصلابة رأيها، ومبادرتها بما يؤذي زوجها.

ثم يترقى في الوصف، فيقول ربيعة:(وغيرها أبغض إلي منها) وهل هناك صفات أبغض من تلك التي وصف، هو يقرر الصفات السابقة، ويضيف عليها.

فقال والده في دهشة وتعجب وترقب ومن هي؟ يقول ربيعة: (التي شقي صاحبها، وخزي خاطبها، وافتضح أقاربها)

ثم يتدرج ربيعة بذم ذلك الشخص الذي يرتبط بها، ويُقدم على خطبتها، فإذا فعل ذلك افتضح أقاربها.

والتعبير باسم الموصول (التي) يعود على تلك المرأة الخبيثة، فهي جديرة بأن تأخذ من يقدرها، ويعطيها مكانتها، والعطف بين الجمل للتوسط بين الكمالين، ورسم صورة متكاملة عن هذا الرجل الذي لا يصلح إلا لها .

والسجع وتوافق الفواصل بين الخزي والشنار الذي يلحق به، فجمع له ثلاثة أمور: الشقاء – الخزي– الفضيحة.

ويتوالى التشويق والتدرج ، فيقول والده ومن صاحبها؟ مقاول حمير يفتح آفاقا للحوار بغية ترسيخ تلك المفاهيم، وتثبتها في نفوس المتلقين، والذي دله على ذلك براعة ابنه في الوصف، وفتح طريق للتساؤل والاستقصاء، أخذ الوالد كلمة من ولده(شقي صاحبها) فبني هذا السؤال وهو شأن المحاور الذي يحرص على إبقاء الصراع بين المتحاورين؛ لتبادل وجهات النظر المختلفة، وإكساب المتلقي مزيدًا من المعرفة ودروب الخبرة.

فقال ربيعة:(مثلها في خصالها، لا تصلح إلا له، ولا يصلح إلا لها) هذا الرجل مثل الزوج التي مر ذكرها بكل صفاتها وطباعها حيث شبه خصال تلك المرأة البغيضة بما يوافقها من الرجال من حيث الصفات والأفعال، وللتأكيد على ذلك جاء

بأسلوب القصر المحكم بالنفي والاستثناء الذي يأتي في الأمور المهمة التي لا تحتمل الشك، وكرر الأسلوب دلالة على صلاحية كل منهما للآخر .

قال الوالد فصفه لي:(الكفور غير الشكور اللئيم الفجور) تعدد النعوت والصفات يزيد من حضور الشيء ويرسخ المعنى في نفس المتلقي، ويؤدى إلى الاقتناع به والإذعان له .

أصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه، ثم شاع الكفر في ستر النعمة خاصة، وهو نقيض الشكر، والكفور: المبالغ في كفران النعمة، واللئيم من مستلزمات البخيل، والنساء تكره الرجل البخيل، الذي يناقض الكريم، كما وصف أحب الرجال قبل ذلك، ولم يفصل بينهما بفاصل دلالة على تأصل البخل والفجور في شخصه وهيئته، ولذا وصف بـ (الفجور) أي المبالغ في انبعاث المعاصي وركوب كل أمر.

وإيثار التعبير بصيغتي المبالغة(فعول– فعيل) دلالة على الكثرة والمبالغة والتأكيد، وتأصلها في ذلك الصنف من الرجال .

ثم يتدرج في وصفه قائلا:(العبوس الكالح ، الحرون الجامح) وصف في غاية البشاعة، وهو مناسب للمرأة البغيضة التي مر وصفها في قوله:(العابسة القطوب، وجهها عابس) ضع الوصف هنا مع مقابله يتجلى الفرق ويتضح مغزي قوله: (لا تصلح إلا له، ولا يصلح إلا لها).

لكنه زاد الأمر بشاعة فجعله عبوسًا دلالة على التجهم والقطوب، وجعل له وسمًا خاصًا وهو تكشر في عبوس، فزاده كُرهًا وبُغضًا، فالكُلُوحُ: تَكَشُّرٌ في عُبوس وهو الَّذِي قَدْ قَلَصَتْ شَفَتُه عَنْ أَسنانه نَحْوَ مَا تَرَى من رؤوس الْغَنَمِ إِذا بَرَزَتِ الأَسنانُ وتَشَمَّرت الشِّفاه[1].

وصف آخر لصاحب تلك المرأة البغيضة، فهذا الرجل البغيض كالفرس الذي إذا استُدِرَّ جَرْيُها وقَفَتْ، ولا ينقاد، ومنه الدابة والفرس الحرون.

(١) اللسان والتاج مادة ك– ل–ح.

ثم وصف بكونه جامح يركب هواه ولا يمكن رَدُّه، والوصف كذلك يطلق على الفرس الجموح إذا لَمْ يَثْنِ رأْسَه، والجَمُوحُ مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي يَرْكَبُ هَوَاهُ فَلَا يُمْكِنُ ردُّه، وتأمل صيغة المبالغة وحركة الواو في قوله:(الجموح) لتبين مدي صعوبة هذا الرجل، وركوبه لهواه، ووقوعه في المخاطر، والجناس الناقص بين(الكالح، الجامح) يبين قبح صنيعه، وسوء فِعاله، تكشر في عبوس، واتباع لهوي لا يمكن ردُّه.

ثم يتبع قائلا: (الراضي بالهوان، المختال المنان، الضعيف الجَنان، الجعد البنان) وصفه بهذا بعد قوله: (الحرون الجامح) مناسب وبديع، فما دام رجلًا متسرعًا لا يأبه بالمخاطر، ويركب هواه، استحق أن يوصف بأنه مختالٌ جهولٌ لا يقبل التوجيه والنصح بغية تجنب الأخطار، ووقوع الأضرار، فالمُخْتَال الصَّلِف المُتَباهي الجَهُول الَّذِي يَأْنَف مِنْ ذَوِي قَرابته إِذا كَانُوا فُقَرَاءَ، وَمِنْ جِيرانه إِذا كَانُوا كَذَلِكَ، وَلَا يُحْسن عِشْرَتَهم(١).

ثم ألصق به وصفًا أليق بحاله، وأنسب لسياقه، فهو يمتن على غيره، ويُذكره دائما بصنيعه، تأمل صيغتي المبالغة (المُخْتال المنَّان) فهو متكبر يتباهى، وكثير الامتنان وهو وصف تبغضه النساء، فالذي يُذكر دائما بحسن صنيعه، وفخَرَ بِهِ وأَبدأَ فيهِ وأَعاد حَتَّى يُفْسده ويُبَغِّضه، لا شك في أن هذا الرجل منبوذ مكروه، وكما قيل: المِنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنيعة.

وهذا الوصف مطابق لقوله:(اللئيم الفجور) حيث إنّ اللئيم والمنان من مستلزمات الرجل البخيل الذي تبغضه النساء.

وصف آخر لمن يصلح لتلك المرأة أن يكون الرجل ضعيف الجنان، والجَنانُ: القَلْبُ لاستِتاره في الصَّدْرِ، وَقِيلَ: لِوَعْيه الأَشْياء وجَمْعِه لَهَا، وَقِيلَ: الجَنانُ رُوعُ الْقَلْبِ، وَذَلِكَ أَذْهَبُ في الخَفاءِ، وَسُمِّيَ القلبُ جَناناً لأَن الصدْرَ أَجَنَّه(٢)، وهو وصف

(١)اللسان والتاج مادة : خ– ت– ل.

(٢)السابق مادة ج– ن– ن.

قبيح في الرجل، لأن المرأة بطبيعتها ضعيفة القلب تفزع سريعًا، ولا تتمالك نفسها أمام المخاطر والعقبات، فما بالك أن ينطبق الوصف على الرجل.

والرجل عمومًا معروف بالسكينة والطمأنينة ورجحان العقل، وثبات القلب ؛حتي يدرك عواقب الأمور ويقوم على حل العويص من القضايا التي يواجهها .

هذا الوصف يرتد إلى ما سبق من كون هذا الرجل لئيمًا منَّانَا مُخْتالًا، وهما من مستلزمات البخيل أيضًا، ضع هذا الوصف في مقابل(الجعد البنان)، فالجَعْدُ الخفيف مِنَ الرِّجَالِ، وهو مناسب لقوله السابق (الضعيف الجنان) فقلبه ضعيف لا يتحمل، فاستحق أن يكون خفيفًا يفزع لأقل شيء .

ثم زاد الأمر وضوحًا بقوله:(البنان) وهو وصف يرتد لما سبق كيف ذلك؟ كما وضحت أن الجعد الخفيف من الرجال وهو مناسب للضعيف الجنان، لا يخرج الوصف أيضًا من كونه بخيلًا، يُقَالَ: رَجُلٌ جَعْدٌ إِذا كَانَ بَخِيلًا لَئِيمًا لَا يَبِضُّ حَجَره[1].

وزيد الوصف وضوحًا فلو قيل للكريم من الرجال جعدٌ ينصرف المعنى إلى المدح مباشرة ، وإذا أضيف إليه شيء فينصرف إلى معنى البخل، كما جاء هنا (الجَعْد البنان) كناية عن الذم والبخل، يقول الزمخشري: "وقدم جَعْد يعني: قصيرة، ومن المجاز: نبات جَعْد، ورجل جَعْد الأصابع، وجعد البنان للبخيل"[2] والبنان حاصل أصابع اليد؛ لأن بها العطاء والدفع.

ثم يتدرج في الوصف قائلًا:(القَؤُول غير الفَعول، الملولُ غيرُ الوَصُول) ثم إن هذا الرجل كثير المقال قليل الفعال، تعرض عنه سريعًا، تملُّ من حديثه، تأمل دلالة الغيرية هنا؛ لتؤكد على أنه يتكلم كثيرًا ، ولا يُنجز ما يسند إليه بقول أو فعل.

(١)اللسان والتاج مادة :ج–ع– د.

(٢) أساس البلاغة مادة: ج–ع– د.

والطباق يظهر المعنى جليًا، فهو أقرب خطورًا بالبال عند ذكر ضده، فتتضح المعالم، فالمرأة تحب الرجل الذي إذا همَّ في أمر أمضاه لا يثرثر كثيرا، وتحب الرجل الوصول الذي يحفظ كرامته ولا يُمل من حديثه.

ثم يترقى في المعنى ويصل إلى ذروته، فيقول:(الذي لا يَرِع عن المحارم، ولا يرتدع عن المظالم)إيثار التعبير باسم الموصول (الذي) يفيد بأنه جدير بتلك الأوصاف البغيضة التي لا تصلح إلا لهما.

والمقابلة وحسن التقسيم تُفصح عن أقبح وأشنع الصفات لذلك الرجل الذي لم يسلم منه أحد، فيخوض في أعراض المحارم، ولا يكف عن المظالم.

والجناس الناقص في قوله: (يرع– المحارم) (يرتدع– المظالم) يعمل على وظيفتين سمعية، ودلالية، فتكرار صوت الراء، والعين، مع تنوع حركتي الحاء والظاء، والمد بالألف، وختامًا بحرف الميم؛ ليطبق على مزيد من ارتكاب المحرمات، وانتشار المظالم.

والدلالية تظهر مع زيادة المعنى لزيادة المبني من الخصوصية إلى العمومية في(يرع ويرتدع) دلالة على شيوع فجوره وانتشار فحشه فتعدي ظلمه لمحارمه، وبشاعة جرمه مع غيرهم.

وقد كان صنوه كذلك، تأمل قوله في أبغض النساء(المؤذية للجيران، الناطقة بالبهتان) فوافق صنيعها شريك حياتها في الأقوال والأفعال، ولذا استحق التأكيد على هذا الأمر من خلال أقوي طرق القصر النفي والاستثناء وحسم هذا الأمر بينهما (لا تصلح إلا له ، ولا يصلح إلا لها).

المحور الخامس: بلاغة التعبير عن وصف الخيل

(قال مقاول حمير: فأخبرني يا عمرو، أيُّ الخيل أحبُّ إليك عند الشدائد، إذا التقى الأقران للتجالد؟ قال: الجَوَاد الأنيق، الحِصَان العَتيق، الكفيت العريق، الشديد الوثيق، الذي يفوت إذا هرب، ويَلْحَقُ إذا طلب. قال: نِعْمَ الفرس واللّه نَعتَّ فما تقول يا ربيعة؟ قال: غيرُه أحبُّ إليّ منه، قال: وما هو؟ قال: الحِصَان الجواد، السَّلِسُ القياد، الشهْم الفؤاد، الصبور إذا سرَى، السابق إذا جرى).

يدور وصف الخيل حول الإعجاب بحسن المنظر، والسرعة والنجابة، والعتق والأصالة، وإدراك الهارب ونجدة الطالب، والسؤال بأداة الاستفهام يكون من متعدد، ويكشف عن أهمها وما يفاد منها في هذا الشأن، والتخصيص بـ (عند الشدائد) تبرز دورها وقيمتها عند اقتحام المخاطر، وملاقاة الأهوال، وهنا يبذل فيها كل غال وثمين؛ لبيان فضلها ونجدتها في المواقف الصعاب .

ثم أضاف شرطًا مهمًا بمنزلة التخصيص بعد الاجمال والإيضاح بعد الإبهام، فقال: (إذا التقي الأقران عند التجالد) الشرط هنا أفاد تحقق الوقوع ، وثبات المعارك وملاقاة الشجعان، والتجالد يكون بالسيوف، أي تضاربوا بها.

ويهدف الحوار إلى البناء المعماري الذي ذكرته قبل ذلك من ارتباط العربي قديمًا بالخيل والسيف، وقبلهما الرجل والمرأة في تدعيم الحوار الهادف مكتمل الأركان.

قال عمرو: (الجواد الأنيق الحصان العتيق الكفيت العريق الشديد الوثيق) أول وصف للخيل عند عمرو أن يكون فرسه رائعًا يعجبك حسنه، ويروقك منظره، ولا شك في أنه بهذا الوصف يدل على براعة قائده، وحسن مظهره، فركوب الخيل فيها مفخرة وعجب وكبرياء لمن يمتطي ظهرها ويقود زمامها.

ثم ثني وصفه بكونه سابق نجيب، والعتيق يطلق على كل شيء بلغ النهاية في جودةٍ أَو رَدَاءَةٍ أَو حُسْنٍ أَو قُبْح، ومنه : عَتَقَت الفرسُ تَعْتِقُ وعَتُقتْ عِتْقاً: سَبَقَتِ الْخَيْلَ فَنَجَتْ. وَفَرَسٌ عاتِقٌ: سَابِقٌ رَائِعٌ كَرِيمٌ بَيِّن العِتْقِ[١] .

وبعد ما وصفه بروعة المنظر، وكرم الأصل والحسن، أضفى عليه وصفه بالسرعة في العدو والطيران، وصيغة المبالغة (الكفيت) فيها دلالة على شدة سرعته، وبراعة انقضاضه، وخفة حركته، فدلالة الكلمة تدل على ذلك، فـ (كَفَتَ) يَكْفِتُ كَفْتاً وكَفَتَاناً وكِفاتاً: أَسْرَع في العَدْوِ والطَّيَرانِ وتَقَبَّضَ فيهِ[٢]، وأردف بصفة (العريق) وهي مناسبة لسرعة العدو والقبض، فهو فرس كريم رائع، ثم أردف بكونه شديد محكم الوثاق، وصيغة المبالغة(فعيل) تدل على شدة إحكامه، وثباته.

وقوله: (الذي يفوت إذا هرب، ويَلْحَقُ إذا طلب) العطف للتوسط بين الكمالين؛ لبيان تمكنه من الأمرين معًا، وهو الهروب عند الخطر، واللحاق عند الطلب، وهذا يكشف عن جودته وحسن تصرفه عند اشتداد الأزمات، ومواجهة التحديات، وتتعانق المقابلة والسجع، واسم الموصول في بيان ذلك دلالة على جدارته بتلك الأوصاف.

ثم ينتقل بالسؤال لربيعة، قال: نِعْمَ الفرس واللّه نَعتَّ! قال فما تقول يا ربيعة؟ قال:غيرُه أحبُّ إليّ منه، قال: وما هو؟ قال: الحِصَان الجواد، السَّلِسُ القياد، الشهْم الفؤاد، الصبور إذا سرَى، السابق إذا جرى.

يرد ربيعة بامتداح ما قال أخوه عمرو بثناء وقسم وإشادة وبراعة فيما وصف حيث (قال: نِعْمَ الفرس واللّه نَعتَّ) ثم يوجه الوالد سؤاله لربيعة، فما تقول يا ربيعة؟ لمعرفة رجاحة عقله، وسعة فكره.

(١) اللسان والتاج مادة ع– ت– ق.
(٢) السابق مادة ك– ف– ت.

وبأدب جم، وتواضع ولين يقول ربيعة:(غيرُه أحبُّ إليّ منه) ودلالة التفضيل لا تعني أنه أفضل في بابه، لكنه يؤكد تلك الصفات السابقة، ويروقه أوصاف أخرى يضيفها على ما وصف .

فيقول الوالد في تعجب ودهشة وترقب، وتلك الدهشة من قبل الوالد وأخيه عمرو كذلك، وإنا أتخيل تلك المحاورة اللطيفة التي تجري على نسق واحد في موصوف واحد، ولهما القدرة العجيبة على التنوع في الإجابة، واعجاب الوالد بقوليهما، إنها لصعوبة بالغة، وقدرة واتقان وذائقة لغوية، ومهارة فردية تفوق الوصف، فحُق لهما أن يدهشا.

يقول الوالد (وما هو؟) فقال ربيعة:(الحِصَان الجواد السلس القياد الشهم الفؤاد)أي: الكريم الرائع حسن الجودة والروعة، وهو قريب من قول أخيه:(الحِصَان العتيق) أي: الكريم النجيب، وهما من منبع واحد أن يكون الحصان سهلًا منقادًا مع صاحبه، مُعَدّة لِوَقْتِ الْحَاجَةِ إِليها .

والتعبير بقوله:(السلس القياد) من المجاز المرسل لعلاقة المجاورة ؛ لأن الْمِقْوَدُ الْحَبْلُ يُشَدُّ في الزِّمام أَواللِّجامِ تُقاد بِهِ الدابَّة[1]، وبلاغته تكمن في الطواعية وحسن الانقياد، فلا يكون صلب الرأس، يصعب ترويضه .

وقوله:(الشَّهْمُ الفُؤَاد) استعارة أصلية فالشَّهْمُ: الذَّكِيُّ الفُؤَاد المُتَوَقِّد) الجَلْدُ (كالمَشْهُوم)، وَهُوَ الحَدِيدُ الفُؤاد الحَمُولُ الجَيِّد القِيام بِمَا حَمَل، الَّذِي لَا تَلْقاه إلا حَمُولاً طَيِّب النَّفْس بِمَا حَمَل، وَكَذَلِكَ هُوَ في غَيْر النَّاس"، ومن المَجازِ: الشَّهْم: الفَرَسُ السَّرِيعُ النِّشِيطُ القَوِيُّ.[2] حيث نقل لفظ الشهم من الرجل الحمول القائم بالأعباء إلى غير الناس على الفرس السريع النشيط القوي عند اشتداد الحرب وحومة الطعان .

(١) اللسان والتاج مادة ق– و– د .

(٢) السابق مادة ش– هـ– م.

ثم يختم حواره بقوله:(الصبور إذا سرَى، السابق إذا جرى) تصدير كلامه بصيغة المبالغة المغلفة بالتعريف (فعول) فيه دلالة على قوة التحمل والاصرار والعزيمة، والشرط هنا يدل على تحقق الوقوع والمكابدة في الوصول (إذا سري) ومعلوم أن السري ليلًا فيه مشقة وصعوبة وقوة تحمل يناسبه تلك الصفات التي مرت، فلا بد أن يكون الحصان جوادًا يسهل قوده، نشيطًا قويًا.

وفى النظر في دلالة اسم الفاعل(السابق) الدالة على الثبوت والدوام، فلا يرضي إلا أن يكون في المقدمة، ودلالة الكلمة تدل على حسن التفرد وإحراز السبق والتميز .

والشرط المقيد (عند الجري) يدل على جرأته وإعداده جيدًا في المعارك واقتحام الشدائد، فالفرس المُعدَّة لذلك يظهر معدنها وخبرتها في تلك المواقف، وكل هذا مغلف بحسن التقسيم والترصيع الذي يجمع بين الصبر عند السير ليلًا، وما فيه من صعوبة وحسن بصيره، وتحمل مشاق، وبين الاستعداد والسبق واللحاق عند الجري ووقت الوصول للهدف المنشود، وخصوصا عند الشدائد، إذا التقي الأقران عند التجالد كما ذكر والده في مطلع سؤاله.

ثم ينتقل الوالد بسؤاله عن أبغض الخيل، قال: فأيُّ الخيل أبغضُ إليك يا عمرو؟ قال: الجَمُوح الطَّمُوح، التَّكُول الأنوح، الصّؤُول الضعيف، الملول العنيف، الذي إن جاريتَه سَبقْته، وإن طلبته أدركْتَه.

ثم ينتقل الوالد بسؤاله لعمرو: أي الخيل أبغض إليك؟ قال:(الجموح الطموح النكول الأنوح) كما مر من أن الجموح الذي لا ينقاد ولَمْ يَثْنِ رأْسَه، وطمَح الفَرَسُ يطْمحُ طِمَاحاً وطُمُوحاً: رفَع رَأْسَه في عدْوِه رافِعاً بَصَرَه، وفَرَسٌ طامِحُ الطَّرّفِ: طامِحُ البَصَرِ وطَمُوحُه، أَي مُرْتَفِعُه، ويُقَال: طمَّحَ الفَرَسُ تطْمِيحاً: إِذا (رفعَ يَدَيه)، وتأمل صيغة المبالغة، وحركة الواو في قوله:(الجموح الطموح) لتبين مدي صعوبة الفرس وعدم انقياده، أضف إلى ذلك أنه يرفع يديه وبصره.

ثم أردف بوصف أخر وهو أن يكون الخيل ضعيفًا ثقيلًا، فمادة نكل تدور حول الجبن والضعف والمنع والتنحية عما يريد، يُقالُ: نَكَلَ عَن الأَمْرِ يَنْكُلُ عَنْهُ

نُكُولاً: إِذاجَبُنَ عَنْه (وَنَكَّلَ بِهِ تَنْكِيلاً) (والنّاكِلُ: الضَّعِيفُ والجَبانُ، والنُّكُولُ، بالضَّمّ: القُيُودُ، وَنُكِلَ الرَّجُلُ، كَعُنِيَ: دُفِعَ وَأُذِلَّ. النَّكَلُ، بالتَّحْرِيك مِنَ التَّنْكِيل، وَهو المَنْعُ والتَّنْحِيَةُ عَمّا يُرِيد.

فالفرس ضعيف جبان ، ثم أضفى عليه وصفًا آخر وهو البطء والثقل، فهو لا يستطيع التحرك بسرعة ، فالأَنوحُ: الّذي يَستأْخِرُ عَن المكارِم وهو صَوْت يُسْمَعُ من الجَوْفِ معَه نَفَسٌ وبُهْرٌ ونَهِيجٌ يَعْتَرِي السِّمانَ من الرِّجال، ومنه فَرَسٌ أَنوحٌ كصَبورٍ: (إِذا جَرَى فَرْفَرَ) أي: الخوار الثقيل.

ثم يتبع قائلًا: (الصؤول الضعيف الملول العنيف الذي إن جاريتَه سَبقْته، وإن طلبته أدركْتَه)إذا دخل المعركة، وجاريته سبقته في حلبة الصراع، وإن طلبته لحقت به، فيدركه الطالب ـولا ينجو من الهارب، فاستحق أن يكون أبغض الخيول، والمقابلة تبرز ضعفه وخوره، وقلة حيلته.

ثم توجه الوالد بسؤال ربيعة(قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: غيره أبغض إليّ منه، قال: وما هو؟ قال: البطيء الثقيل، الحَرون الكليل، الذي إن ضربتَه قَمص، وإن دنوت منه شمس، يدركه الطالب، ويفوته الهارب، ويقطع بالصاحب، ثم قال ربيعة: وغيره أبغضُ إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الجموح الخَبُوط، الركوض الخَروط، الشَّمُوس الضَّروط، القَطُوف في الصعود والهبوط، الذي لا يسلِّم لصاحب، ولا ينجُو من الطالب).

تكرار السؤال بهذه الأسلوب يثير تعجبًا ودهشة من تنوع الجواب حوال سؤال واحد، أتي عليه أحد أبنائه من قبل، وهذا هو ابنه الآخر يأتي بإجابة، ومعلومات أخرى حول نفس الشيء، إنها لمقدرة عجيبة تنم عن مقدرة لغوية، وتنوع معرفي، وهذه قيمة الحوارات الناجعة.

ثم يقول الوالد: وما هو؟ قال ربيعة:(البطيء الثقيل، الحرون الكليل)عند التأمل في أول الأوصاف التي ذكرها تلخص ما يقال عن الخيل، وهو أن يكون بطيئًا ثقيلًا، فلا ينجو من أرض المعركة ليس عنده مرونة وسرعة وخفة حركة يتقوى بها في مواجهة الشدائد، واقتحام المعارك، ولم يفصل بينهما بفاصل فهي صفة

لا تنفك عنه، والتعبير بصيغة المبالغة(ثقيل) فيها دلالة على قلة نشاطه، واضطراب حركته .

ثم أردفه بوصف آخر أنها لا تنقاد إذا استُدِرَّ جَرْيُها وقَفَتْ، ثم أشبع الوصف بكونه (كليلًا) وهو خاص بالسيف الذي لم يقطع، ولم يحقق مراده من الحدة وسرعة القطع، فـ (كَلَّ السيفُ: لَمْ يَقْطَعْ. وطرْف كَلِيل إذا لَمْ يحقِّق الْمَنْظُورَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَلَّ بصرُه كُلولًا نَبَا، وَرَجُلٌ كَلِيل اللِّسَانِ، وكَلِيل الطرْف) فاستعاره للخيل التي لا يرجي منها نفع ، فرتب المعنى في ذهنك، فهو خيل بطيء ثقيل الحركة، لا ينقاد لأحد، لا ينجز ما وعد، خيل بهذا الوصف تستحق كل البغض.

(الذي إن ضربتَه قَمص، وإن دنوت منه شمس) التعبير باسم الموصول (الذي) يشير إلى تشوق وترقب واستثارة لما يأتي من وصف، ويفيد كذلك أنه جدير بتلك الأوصاف سواء في المدح أو الذم ، والعطف بين الجملتين للتوسط بين الكمالين؛ لبيان صعوبة انقياده، وشدة جموحه .

وبراعة المقابلة تتجلي في إبراز تلك المعاني، فإن ضربته رفع يديه وطرحهما معا، فقَمَصَ الفَرَسُ وغَيْرُه يَقْمُصُ، بالضَّمّ، ويَقْمِصُ، بالكَسْرِ، قَمْصاً وقُمَاصاً، بالضَّمّ والكَسْرِ، وهُوَ أَي القَمْصُ والقُمَاصُ أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ ويَطْرَحَهُمَا مَعاً، وإن دنوت منه شرد وجمح ومنع ظهره من الركوب، فلا يستقر ظهره لأحد، فشَمَسَ الفَرَسُ يَشْمُسُ شُمُوساً، بالضّمّ، وشِمَاساً، بالكَسْرِ: شَرَدَ وجَمَحَ، ومَنَع ظَهْرَهُ عَن الرُّكُوبِ لشِدَّة شَغْبِهِ وحِدَّتِه.

وقوله:(يدركه الطالب، ويفوته الهارب، ويقطع بالصاحب) موافق لما ذكر فلما كان الفرس بهذا الوصف الذي مر ذكره، فهو فرس بطيء ثقيل، لا يحقق المرجو منه في العدو وشدة السرعة، إن ضربه صاحبه فزع ورفع يديه وطرحهما معًا، وإن دنا منه شرد؛ لشدة شغبه وحدته، استحق هنا أن يدركه الطالب في المعركة، فلا يستطيع أن ينجو بقائده، وإذا لحق بأحد هرب وزاغ منه، ويقطع بالصاحب؛ لبطئه وثقل حركته.

التعبير بالفعل المضارع يفيد استحضار الصورة واستمرار تجددها، وكأنك تراها رأي عين، وكذلك التعبير باسم الفاعل دلالة على الثبوت والدوام وإن هذا طبعه

الذي لا يتغير، وبراعة الترصيع والسجع يضفى على المعنى حيوية وأُنسًا، ونغمًا خلابًا يستقر في النفوس والوجدان.

ثم يقول:(الجموح الخَبُوط، الركوض الخَروط، الشَّمُوس الضَّروط، القَطُوف في الصعود والهبوط).

ثم ترقي ربيعة في وصف الخيل البغيض، فذكر مجموعة من الصفات كلها مبينة على الكثرة والمبالغة والتأكيد، فأول أوصافه أن يكون جموحًا خبوطًا، وقد مر أن (الجموح) ثم وصف بكونه جامح ، فهو الذي لا ينقاد ، ويركب هواه ولا يمكن رده، والوصف كذلك يطلق على الفرس والدابة الجموح إِذا لَمْ يَثْنِ رأْسَه، ثم زاده بشاعة وتصويرا فأضفى عليه وصف (الخبوط) الذي يخبط الأرض برجليه، ودلالة الكلمة تدل على خلل واضطراب وتخبط في حركته وسيره.

وتأمل صيغة المبالغة وحركة الواو في قوله:(الجموح– الخبوط) لتبين مدى صعوبة انقياده، وشدة شغبه، وبطء حركته.

ثم وصفه بكونه ركوض خروط وهو منبثق من الوصف السابق الذي يجمح ويخبط برجليه في الأرض، وهنا جاء وصفه بكونه خروطا يَجْتَذِبُ رَسَنَه مِنْ يَدِ مُمْسِكه ثُمَّ يَمْضي عَائِرًا خارِطًا، والخَرُوط من الرجال: يعني الذي يتهور في الأمور ويركب رأسه في كل ما يريد بالجهل وقلة المعرفة بالأمور، فقد استعير اللفظ للفرس الذي يفلت زمامه من يد قائده أو ممسكه ويمضي عابرا على سبيل الاستعارة الأصلية .

ثم يصف بأنه شرود جامح ضروط، والتعبير بصيغة المبالغة دلالة على التكثير والتأكيد والمبالغة، ثم أضفى عليه وصفا آخر(ضروط) وهو الذي يخرج ريحًا مع صوت، والتعبير بالصفة المشبهة دلالة على الثبوت والدوام وإنه طبعه الذي لا ينفك عنه.

ثم يختم بقوله:(القطوف في الصعود والهبوط) والقطوف في الدَّابة يدور حول الضيق في المشي، والبطء والإساءة في السير والتقارب في الخطو، ومنه المثل:(قد

يبلغ القطوف الوساع)[١]، والمتأمل يدرك كيف يرتد الختام إلى المطلع، فتجده ذكر هنا ضيق المشي والبطء في السير، وفى مطلع حديثه يقول: البطيء الثقيل.

والطباق بين(الصعود والهبوط) يبين شدة تكاسله، وتقارب خطوه، مما يسهل مسيرته في أرض المعركة، إذا التقي الفرسان للتجالد، واشتدت الحرب وتضاربت السيوف، فيدركه الطالب، ويقطع بالصاحب، ويفوته الهارب، فيتحقق ما ذكرته حيث ارتد آخر الكلام على أوله.

ثم تأمل ختامه أيضًا(الذي لا يسلِّم الصاحب، ولا ينجُو من الطالب) فالتعبير باسم الموصول يثير انتباه المتلقي لمعرفة صفات أكثر حول أبغض الخيل، ويفيد بأنه جدير بتلك الأوصاف .

والعطف بين الجملتين بالواو يشير إلى ترابط وثيق في وصفه، فتلك الخيل لا تسلم الصاحب إلى بر الأمان، ولا تنجو من المعضلات، والتوسط بين الكمالين يدل على تمكن تلك الصفات فيها .

وحسن التقسيم فيه نغم موسيقي خلاب من خلال التعبير بالفعل المضارع الذي يدل على استحضار صورتها والتعجب من حالها لتستحق أبغض الصفات، وهي ترتد إلى قوله: (تقطع بالصاحب، ويدركها الطالب، ويفوتها الهارب) فكل هذه المعاني تدل على مراد واحد بطرق مختلفة تلك هي قيمة الحوار الناجع الذي يكسب العقول مهارة وحسن تفكير، وبراعة تصوير .

(١) القَطُوف من الدواب: الذي يُقارِب الخَطْو، الوسَاع: ضِدّه. ويضرب في قناعة الرجل يبعض حاجته دون بعض. مجمع الأمثال ٢/٩٣.

المحور السادس: بلاغة التعبير عن ألذ العيش

التدرج والترقي في البناء المعماري للحياة متناسق جدًا، فالمتأمل يدرك بعين بصيرة أن بداية الحياة تقوم على معرفة الرجال وطبائعهم، ثم أردف بالحديث عن شقائق الرجال ألا وهم النساء، فبهما قوام البيت، واستقرار الأسرة، وجمع الشتات.

ثم ثني بأمر يخص الهيبة والكبرياء والجاه، ألا وهو ركوب الخيل حيث تورث صاحبها عزة ومنعة وحماية ، فيأخذ من طباعها وشدة اقتحامها للمعارك في ساحات الطعان، وحلبة الصراع.

وهنا في هذا المطلب يبادر أبنائه بسؤال عن ألذ العيش بعدما اجتمع له معرفة وخبرة بأسرار الرجال، وخفايا النساء، وأحب الخيل عند الشدائد، فكان هذا السؤال (أي العيش ألذُّ).

قال مقاول حمير: فأخبرني يا عمرو؛ أيُّ العيش ألذ؟ قال:عيش في كرامة، ونعيم وسلامة، واغتباق مُدَامة.

طبيعة العربي في المجتمع الجاهلي ممثلة في مظاهر العيش اللذيذ القائم على شرب الخمرة، ومعاشرة النساء، واللهو في مجالس القيان، وكان يحرص على ذلك أشد الحرص أن يبلغ أقصي الحاجات، ويتمتع بأجمل الرغائب، قبل أن يأتيه الموت فينقله من نعيم العيش إلى الفناء التام، يقول أحدهم:

مَتَي ما يَأتِيني يَومِي تَجِدْنِي شُفيتُ من اللذَاذة واشْتُفِيتُ

ويقول قيس بن الخطيم:

متي يأتِ هذا الموتُ لا تبقَ حَاجةٌ لِنَفْسِي إلَّا قدْ قَضَيْتُ قَضَاهَا

وهذا يصور رغبتهم في التمتع بكل ملذات الحياة قبل أن يأتيه الموت بغتة، أولي الصفات التي عبر عنها الكرامة، والكرامة مفهوم عام يدور حول العيش الرغيد السعيد الذي يحفظ للإنسان كرامته وكبرياءه ولاسيما الرجل البدوي الذي يعشق الكرامة والأصالة، وحفظ الوجه والكرامة.

والظرفية تبين انغماسه وتلبسه بالكرامة، فلا يستطيع العيش إلا في رحابها، وهذه سجية العربي الأصيل، والمتأمل يظهر له إيثار التعبير بالكرامة دون(كريم) حيث إن الكرامة فيها الأنفة والعزة والشموخ، وتأبي الضيم والقهر والإذلال والمهانة .

ثم عطف عليها قوله:(ونعيم وسلامة) والتنكير في الكلمتين يفيد التنويع والتكثير، وتعدد النعم والعبور للطريق السلامة، فأي نعيم وأي سلامة تدخل في العيش اللذيذ .

ويتوالى النعيم والسلامة في قوله:(واغتباق مدامة) والعطف من التوسط بين الكمالين دلالة علي تعدد النعم، والخمر من لذات الجاهلية الرئيسة مع الميسر وهي من مظاهر النعمة التي لا تتوافر إلا للقوي صاحب القوة، وتحتاج إلى مال كبير لجلبها والتلذذ بها؛ لذا كان الجاهلي يتفاخر بإهدار المال الوفير في نيلها وإدامة شربها، وهي من وسائل الكرم في الجاهلية فكانت تقدم للضيوف والوافدين.

ولا يعني ذلك أنه لا يتصف بصفات أخرى حميدة، فقد كان شرب الخمر مساعدًا ومحفزًا على الجرأة والشجاعة والاستعداد للقتال في أي لحظة، فكانت تُشرب في جميع الأوقات(الصبوح والغبوق والسحر ومنتصف النهار وطوله) ومن دلالتها الاجتماعية الكرم والنجدة والمروءة وحماية الجار والذب عن الحرمات، ويلحظ هنا تخصيصها بالذكر بعد النعيم والسلامة دلالة على مدي تأثيرها وعدم الاستغناء عنها في المجتمع الجاهلي .

والغبوق: ما يشرب عشاء[١]، يقول عمرو بن الأهتم[٢]:

فَباتَ لَنَا منها وللِضَّيْفِ مَوْهِنا شِوَاءٌ سَمِينٌ زَاهِقٌ وغَبوقُ

وَقَالَ أَبُو عُبيد: من أَسمَاء الْخمر المُدام والمُدَامَةُ، قَالَ اللَّيْث: سميت مُدامة لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْء من الشَّرَاب يُستطاع إدامَةُ شُرْبِه غيرَها، وَقَالَ غَيره: سمّيَتْ مُدامة لِأَنَّهَا أُديمَتْ في الدِّنِّ زَمَانا حَتَّى سَكَنَتْ بَعْدَمَا فارَتْ، وكل شَيْء يسكن فقد دَامَ، وَمِنْه قيل للْمَاء الَّذِي سَكَنَ فَلَا يجْرِي: دائمٌ[٣].

يقول امرئ القيس[٤]:

إذا ذُقتَ فَاهَا قلتَ طَعمُ مُدَامَةٍ مُعَتَّقَةٍ مِمّا تَجيءُ بِهِ التُّجُرْ

ثم يوجه السؤال ما تقول يا ربيعة؟ استفهام فيه ترقب واستزادة، وإضافة معارف أخرى وتوسيع لدائرة المحاورة المثمرة ، قال: (نِعْمَ العيش واللّه ما وصف وغيره أحبُّ إليَّ منه) عبارة تدل على الإشادة والتمكن وبراعة في الوصف، لكنه يري أمورا يحبها أكثر، وحبه لها لا ينكر ولا يقلل من قدر أخيه حين وصف، فالإنصاف أن تعطي كل ذي حق حقه من التكريم والحفاوة والإشادة هذا عند من يفهم قيمة الحوار وصلاح المجتمع والوصول للحقائق.

تأمل وصفه في لين وتواضع قوله: وما هو؟ والاستفهام الآخر من أبيه الذي يدل على شدة التعجب والدهشة من إجابتي ولديه عن سؤال واحد.

---

(١) الأزمنة والأمكنة ت: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني ، دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى، ١٤١٧هـ ، ٦٨.

(٢) المفضليات للضبي ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة ، ط: السادسة، ١٢٧.

(٣) تهذيب اللغة ت: للأزهري الهروي ، تح: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط: الأولى، ٢٠٠١م ، ١٤٨/١٤.

(٤) ديوان امرئ القيس ، عبد الرحمن المصطاوي: دار المعرفة – بيروت ط: الثانية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م ،٩٩.

قال: عيش في أمن ونعيم، وعزٍّ وغِنًى عميم، في ظل نجاح، وسلامة مساء وصباح.

يفصّل ربيعة أكثر في الجواب، فيذكر أن ألذ العيش في حلول الأمن ودوام النعيم، فدلالة الظرفية تدل على الإحاطة والشمول والتلبس بتلك النعم، ثم عطف عليها جملة أخرى للتوسط بين الكمالين؛ لإخراج المشهد في نسق متزامن، تعبيرًا عن العيش الألذ.

ويلحظ حذف كلمة (العيش) في باقي الجمل لدلالة الأول عليه، وللإيجاز الذي يتسم به البيان العربي، ويبدو لي براعة عمرو في وصف العيش الألذ، فقد ذكر(النعيم والسلامة) مقترنين، وفصلهما ربيعة.

والتعبير بـ (العز والغني العميم) يؤديانه معنى الكرامة في قول عمرو غير أن التفصيل يزيد المعاني جلالًا ووضوحًا، فالعيش في أمان ونعيم من أغلى مقومات الحياة حيث الراحة والاطمئنان، والأمن من المخاطر والأهوال التي تعتري الإنسان، وكذلك العطف يضيف معنى جديدا، فلا يكتفى بالعيش في أمن ونعيم، بل يصحبه عزٌ ومنعة وكرامةٌ، فقد يصحبه الأمن والنعيم لكنه ذليل تمتهن كرامته، ويهضم حقه، يرضي بالدونية والصغار، فاحترس لذلك فوصفه بكونه عميم، ودلالات المبالغة(فعيل) تشع نورا وبهاء من الالفاظ دلالة على التكثير والتأكيد والتنعم بالخير الوفير.

وقوله:(في ظل نجاح وسلامة مساء وصباح) تكثيف لدلالة الظرفية التي تفيد التلبس والإحاطة من خلال الظرف المركب في(مساء صباح) وهي غير متصرفة مبنية على فتح الجزأين[١]، فالعيش الألذ لا يتحقق إلا بدوام النجاح وإحاطته به كالظل الذي لا يفارق صاحبه دلالة على الاحتواء والتمكن والسيطرة.

والسلامة في جميع الأوقات وهذا ما دل عليه بالطباق الاسمين دلالة على شمولها، والتنعم بالعيش الرغيد في حياته كلها، وتظهر قيمة السجعات المتوازنة

(١) ضياء السالك إلى أوضح المسالك ت: محمد عبد العزيز النجار ، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ١٦٣/٢.

المختصرة الوافية بكسر الرتابة بين العبارات، ورسوخها وتعلقها بالأذهان مما يساعد على حفظها وسرعة حفظها، وإظهار مقدرة ربيعة اللغوية في تفرس المفردات، وانسجام العبارات في تأدية هذا المعنى.

ولم يكتف ربيعة بما وصف، بل زاد معاني أخرى يراها جديرة بالوصف حيث يقول:(وغيره أحبُّ إليّ منه) مع أنه القائل أيضًا، وهذا يدل على مقدرة فائقة وذائقة متميزة تدرك مرامي الألفاظ والعبارات، ودقة الوصف واختيار اللفظ المناسب، وهذا يستدعي تعجبا ودهشة من والده، وهل هناك أفضل مما وصفت وما هو؟ قال: غني دائم، وعيش سالم، وظل ناعم.

عند التأمل في براعة وصفه نجد أنه أوجز كلامه في ست كلمات، وهي براعة يعجز اللسان عن وصفها مما يدل على تحقق ما ذكرته في بداية المحاورة (ليبلو عقولهما، ويعرف مبلغ علمهما).

ثم بني قوله على ثلاث مفردات مما سبق (غني–عيش–سالم– ظل) فجعل الغني دائمًا، ولم يفصل بينهما بفاصل دلالة على شدة اللزوم والدوام، فالغني الدائم يجعله مستقرًا مطمئنًا لا تدور عليه الدوائر، واسم الفاعل في الجمل الثلاث يؤكد على ثبوتها ودوامها والتنعم بعيشها.

والسجع المتوازي بين جملها يحدث نغمًا موسيقيًا خلابًا جمع فيها العيش الألذ الذي لا يخرج منه أمر مما ذكر فساعد على تمكنها وترسيخها وسرعة حفظها .

****

المحور السابع :بلاغة التعبير عن أحب السيوف

قال: فما أحبُّ السيوف إليك يا عمرو؟ قال: الصَّقيل الحُسام، الباترُ المِخذام، الماضي السِّطام، المُرهَفُ الصَّمْصَام، الذي إذا هززته لم يَكْبُ، وإذا ضربت به لم يَنْبُ، قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: نِعْمَ السيف نَعَت وغيره أحبُّ إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الحسام القاطع، ذو الرَّوْنق اللامع، الظمآنُ الجائع، الذي إذا هززته هَتَك، وإذا ضربت به بَتَك.

يوجه مقاول حمير سؤالا آخر لولده عمرو عن أحب السيوف، والسيوف لها دور كبير في حياة العربي، فبها يدافع عن الحرمات ويذب عن الأعراض ويحمي الأوطان، وكانت السيوف لها أسماء لكثير من الفرسان والشجعان، كما كانت لها أوصاف مخصوصة تدل على حدتها وشدة نفاذها في صدور الأعداء كما سيأتي من وصفها بالحسام والصمصمام، وشدة البريق واللمعان وغير ذلك من الأوصاف التي سنتعرفها في الإجابة عن السؤال(أحب السيوف إليك؟) بدأ عمرو بأولي صفات السيف أن يكون صقيلًا حسامًا قاطعًا، ثم ثني بقوله: الباتر المِخْذَام أي: استئصال الشيء مع سرعة القطع(١)، والتعبير باسم الفاعل دلالة على الثبوت والدوام وسرعة الاستئصال، من أجل ذلك لم يفصل بينهما بفاصل، فجعله سيفًا قاطعًا مِخْذَامًا أي: سريع القطع، وهو اسم سيف للحرث بن أَبي شَمِرٍ وعليه قَوْلُ عَلْقَمَةَ(٢):

مظاهِرُ سِرْبالَيْ حَديدٍ، عليهِمَا عَقِيلا سُيوفٍ: مِخْذَمٌ ورَسُوبُ

ثم أردف بقوله: الماضي السِّطامُ الذي يمضي في المعركة، و(السِّطامُ بالكَسْر: حَدُّ السَّيْف المِسْعَارُ (٣).

(١) اللسان والتاج مادة: خ– ذ– م.
(٢) المفضليات صـ٣٩٤ .
(٣) اللسان والتاج مادة: س– ط– م .

وقولـه:(المُرهف الصمصـام) أي السـيف اللطيـف الرقيـق، فـالرَّهَفُ: مَصْـدَرُ الشَّيْءِ الرَّهِيف وَهُوَ اللَّطيف الرَّقِيقُ. وَسَيْفٌ مُرْهَفٌ أَي رَقَّتْ حَواشِيه[1] فهو صارم لا ينثني وفي هذا دلالة على حدته وشدة نفاذه حيث يمضي في العظم ويقطعه، وهذا بـلا شـك أحـب السـيوف وأكرمهـا، ثـم وصـفه بقوله:(الصمصـام). والمُصَـمِّمُ مِـنَ السُّيوف: الَّذِي يَمُرُّ في العِظام، وصارِمٌ لَا يَنْثَني[2].

ثم ختم جوابه بقوله: (الذي إذا هززته لم يَكْبُ، وإذا ضربت به لم يَنْبُ) فأحب السيوف عند عمرو وبهما ختم أن السيف إذا هززته لم يكفأ وينقلب، وإذا ضربت به يصيب الهدف ويحقق المطلوب ، كما يلحظ أن التعبير باسم الموصول يفيد أن السيف جدير بتلك الأوصاف التي مر ذكرها، وفيه تشوق وترقب لما يأتي بعده من وصف .

ودلالـة الشـرط إذا تـدل علـى تحقق الوقوع وحصـول المرجـو، واقتـران الشـرط بـالجواب فـي جملتين متقاربتين دلالـة علـى شـدة الترابط، وقـوة التـلاحم بـين الشـرط والجزاء مـع العطف بينهما لإخراج المشـهد فـي نسـق متزامن يـدل علـى حدة السيف وسـرعة مضـائه، بالإضـافة إلـى حسـن التقسـيم وبلاغـة السـجع فـي جمـل متسـاوية متوازنـة تـدل علـى شـدة التـرابط وأواصـر الـنغم الموسـيقي بـين الجملتـين، فسـيف إذا هززته لم ينقلب وينتكس، وسيف إذا ضربت لم ينبُ عن الهدف.

ثم يسأل الآخر ما تقول يا ربيعة؟ السؤال فيه ترقب ومزيد من الصفات التي بها يعرف نجابة أولاده، وسعة عقولهم، ومبلغ علمهم .

قال: نِعْمَ السيف نَعَت وغيره أحبُّ إليَّ منه، قال: وما هو؟ عبارة المدح فيها إعجاب وثناء على براعة لغته، ودقة وصفه، لكنه يضيف أمورًا أخرى هي أحب

(١) السابق مادة: ر–هـ – ف.

(٢) نفسه مادة: ص– م– م.

إليه، بالإضافة إلى ما وصف عمرو، والتعجب في السؤال من قبل الوالد فيه مزيد معرفة ، وإيقاظ للعقول .

قال ربيعة: الحسام القاطع، ذو الرَّوْنق اللامع، الظمآنُ الجائع، الذي إذا هززته هَتَك، وإذا ضربت به بَتَك.

لم يخرج وصف ربيعة عن أخيه كثيرًا حيث دارت حول شدة الحسم والقطع، وشدة المضاء في الضريبة مع الرونق واللمع، كما يلحظ أن ربيعة غير في الصيغة، وأتي بالسجعة؛ ليحدث التناغم والانسجام، وسرعة حفظ الكلام، مع الاختصار وشدة الإحكام، ومادة (حسم) تدور حول القطع، وحسام السيف: طرفه الذي يضرب به، وهو السيف القاطع، والتعبير باسم الفاعل معرفًا بالألف واللام (القاطع) دلالة على الثبوت والدوام، وعدم الفصل بينهما دلالة على شدة الترابط وقوة الإحكام فالحسام لا يكون إلا قاطعًا.

ثم وصفه بقوله: ذو الرونق اللامع، وذو هنا بمعنى صاحب، الرَّوْنَقُ: مَاءُ السَّيْفِ وصَفاؤه وحُسنه، والرونق يناسبه الوصف باللمعان، الذي يظهر جليًا في صفائه وحسنه وبريقه .

ثم يضفى عليه وصفًا آخر وهو(الظمآن الجائع) كناية عن السيف الذي يتعطش إلى خوض المعارك وجلب الانتصارات، والطباق يوضح المعنى جليًا والضد يظهر حسنه الضد.

ثم يختم وصفه بقوله:(الذي إذا هززته هَتَك، وإذا ضربت به بَتَك) و(الهَتْكُ): خَرْقُ السِّتْر عَمَّا وَرَاءَهُ، فجَذَبَهُ فَقَطَعَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ أَو شُقَّ مِنْهُ جُزْءًا فَبَدَا مَا وَرَاءَهُ ، و(بَتَكَه) قَطَعَه من أَصله، والبَتْكُ: أَن تَقْبِضَ على شعير أَو رِيش أَو نحوِ ذَلِك ثمَّ تَجْذِبَه إِليك فينْبَتِكَ من أَصْلِه، أَي: فينقطع ويَنْتَتِفَ. والسّيفُ الباتِكُ: القاطِعُ[1]،

(١) اللسان والتاج مادة: ب–ت– ك.

والتعبير باسم الموصول ودلالة الشرط والجزاء مع حسن التقسيم ومراعاة الفواصل يظهر قيمة السيف وحدته ومضائه، وشدة فتكه وصارمته.

وهذا بخلاف قول عمرو حين بناه على التضاد(إذا هززته لم يكب، إذا ضربت به لم ينبُ)

أما ربيعة فأتي على المعنى مباشرة (هززته هتك ضربت به بتك) وهذا أوقع في النفس، والمتأمل كذلك يري قوة السيف في اهتزازه فبمجرد أن يهزه قائده يشق ما وراءه دلالة على حدته ومضائه، ويلحظ الترقي في الوصف من خلال الاهتزاز والضرب، فالهز مناسب للهتك، والضرب مناسب للبتك .

وضع المقابلة بين الجملتين تلحظ أن عبارة ربيعة أوجز حيث وصل مباشرة فعبر عنه بسرعة المضاء وشدة القطع في هاتين الجملتين، وفيها تلخيص لكل ما ذكر .

فاستخدام الكلمات واحدة عندهما ولكن انظر كيف أردف الاهتزاز بعدم الكب، والضرب بعدم النبو، وعند أخيه حيث أردف الاهتزاز بالهتك، والضرب بالبتك مما يدل على ثروة لغوية كبيرة تحقق ما قيل:(برعا في الأدب والعلم) .

ثم ينتقل بسؤاله عن أبغض السيوف حيث قال: فما أبغض السيوف إليك يا عمرو؟ قال: الفُطار الكَهام، الذي إن ضُرب به لم يقطع، وإن ذُبِح به لم يَنْخع، قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: بئس السيف واللّه ذكر، وغيرُه أبغضُ إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الطَّبِع الدَّدَان، المِعضَدُ المهان.

الفُطار: السيف الذي فيه تشقق، والكهام الكليل عن الضريبة، ومنه رجل كهام بطئ عن النصرة والحرب، وفرس كهيم بطئ عن الحرب، وتعريف الطرفين يدل على القصر والاختصاص والإيجاز وبلاغة الوصف، ووقوع النعتين دون فاصل فيه دلالة على أن السيف الذي فيه تشقق هو كليل عن الضريبة، والكليل عن الضريبة لا يكون إلا فطارًا متشققًا .

الثناء والمدح تتعدد فيه الأوصاف، وتتابع فيه الصفات دلالة على جودته، والتمتع بذكر محاسنه، أما الشيء المذموم فالحديث عنه بجملة يسيرة تدلل على شدة بغضه والنفور منه.

لاحظ هنا يعبر عن أبغض السيوف بجملة واحدة فيطوي ذكره طيًا دلالة على إحساس بالضيق حين يتحدث عنه، أما إذا يممت وجهك لمحاسنه، وجدتها كثيرة، جمة المحاسن دلالة على شدة حبه والتلذذ بذكره، حيث قال:(الصقيل الحسام، الباتر المخذام إلى آخره) .

ثم يُجمل في قوله:(الذي إن ضُرب به لم يقطع، وإن ذُبِح به لم يَنْخع) مبينًا أسوأ صفات السيف وهي عدم القطع، وإصابة المحز، وحسن التقسيم والسجع يزيد المعنى تناغما وموسيقي خلابة . حيث جمع بين الضرب والذبح، والقطع والنخع وهما من واد واحد، فالضرب والذبح يدوران حول إصابة الهدف، أما القطع والنخع فهما بلوغ المراد وتمام الغاية وكلاهما لم يتحققا في وصف السيف، وهذا يرتد إلى قوله:(الفطار الكهام) فسيف هذه صفته جدير بألا يقطع ولا ينخع.

ثم يتوجه بالسؤال لربيعة في تعجب وتشوق لأوصاف أخرى تدل على مبلغ علمه وسعة فكره، وهو منهج تربوي أصيل؛ لبيان مقياس التفرس والنجابة، وخصوصًا في أمر مهم لا يستغني عنها أي عربي أصيل.

ويأتي الجواب(نعت فأحسن) عبارة مدح وإشادة تدل على إضافة ثروة لغوية وثقافة واسعة من أخيه، ومن ثم يبنى عليها أوصافًا أخرى، وفى أدب وتلطف، يقول:(وغيره أبغض إلي منه) تلمس شيئًا لم يجده عن عمرو، أو أنه سيبني على ما ذكره، أو يأخذ طرفًا من حديثه ثم يضيف إليه معارف جديدةً ومعاني جليلةً .

فقال الوالد في تعجب ودهشة: وما هو؟ لإثارة اهتمام السامعين، وتحريك عقولهم .

قال ربيعة:(الطَّبِع الدَّدَان، المِعضَدُ المهان) يلحظ أن ربيعة اختصر الكلام في جملتين تعبران عن بغضه، فالطبع السيف الذي فيه صدأ ودنسٌ ووسخٌ يغشيان السيف ويعوقه عن القطع والحدة[١]، ووصفه بـ (الددن) أي السيف الذي لا يقطع فهو كليل عن الغاية وإصابة الهدف، ثم ترقي في بيان وصفه فجعله سيفًا مهانًا يقطع به الشجر، وكأنه تخلي عن وظيفته في ساحات الحرب والطعان، فصار ممتهنًا في قطع الأشجار[٢]غير أنه لا يحز في العظام، ولا يصيب الأبدان، ووقوع النعتين بلا فاصل يدل على أن السيف يمتهن في قطع الأشجار فاستحق وصفه بـ (المهان)، والمهان يكون(معضد) في قطع الأشجار والثمار ولذا لم يفصل بينهما بفاصل؛ لشدة التصاقهما وقربهما، فقيمة السيف الحقيقية في شدة القطع والمرور في اللحم والتغلغل في العظم، ووصف ربيعة ينفى تلك الحقائق فاستحق أن يكون أبغض السيوف .

والنغم الموسيقي المتمثل في السجعات المتوازية يساعد على حفظه ورسوخه في الذهن، كما يقال في ذكر السيف: الحسام القاطع والجزار الباتر، وكذلك قولهم: قَلْبٌ مُطَارٌ وسَيْف فُطَارٌ.

****

(١) اللسان والتاج مادة: ط- ب-ع.

(٢) السابق مادتا : د-د-ن ، ع- ض- ض.

المحور الثامن: بلاغة التعبير عن أحب الرماح

قال: فأخْبِرْني يا عمرو أيُّ الرماح أحبُّ إليك عند المِراس، إذا اعتكر الباس، واشتجر الدِّعاس؟ قال: أحبُّها إليَّ المارنُ المثَقَّف، المُقَوَّم المُخطَّف؛ الذي إذا هَزَزْتَه لم يَنْعَطِف، وإذا طعنت به لم يَنْقَصِف.

التدرج في السؤال يدل على شدة الترابط والتلاحم بين أدوات المحارب الشجاع، أو سمة من علامة العربي الأصيل، فتراه يجمع بين الخيول والسيوف والرماح وهم عماد المحارب وعدته في المعركة، وفي هذا بيان لسطوته وشدة شكيمته، والسؤال هنا على حقيقته؛ ليبرز خصائص الرماح من حيث اقتحامها للمعارك بهذا الوصف السابق .

والشرط في قوله:(إذا اعتكر الباس واشتجر الدعاس) دلالة على تحقق الوقوع ولا مفر من المواجهة، وبناء الفعل (اعتكر) على صيغة (افتعل) مزيد الألف والتاء دلالة على كثرة الاختلاط وشدة الالتباس .

ويلحظ التفصيل في السؤال ورد هنا، وفى الحديث عن الخيل؟ تأمل هيئة الكلمتين(المِراس– الدِّعاس) وهما على وزن (فِعَال) دلالة على طول الدربة والخبرة والتمرس في تلك المعارك الضارية.

وبراعة التقسيم أضفت على المعنى بهاء وجمالًا وتناغمًا موسيقيًا جذابًا، وحلاوة الجناس الناقص بين كلماته الثلاث(مراس– باس– دعاس) فالممارسة دربة وخبرة وصحبة، والباس شدة واختلاط وشهامة وإقدام، والدعاس طعن بالرماح واشتباك وتداخل والتفاف مع شدة واختلاط ، قل من ينجو منه.

أولي الصفات لين واستواء مع شدة وسرعة خطف مع عدم انحناء وكسر، ولذا فهي أحب الرماح، فالمارن: لِينٌ في صَلابة، ثَقْفَهُ تَثْقِيفاً: سَوَّاهُ، وقَوَّمَهُ، وَمِنْه: رُمْحٌ مُثَقَّفٌ، أَي مُقَوَّمٌ مُسَوّىً، والخطف: الاستلاب، وقيل: الخطف الأخذ في سرعة واستلاب (١).

(١) اللسان والتاج مواد: م – ر– ن، ث–ق– ف، خ– ط– ف.

ثم يختم حديثه عن أحب الرماح بقوله:(الذي إذا هززته لم ينعطف، وإذا طعنت به لم ينقصف) والتعبير باسم الموصول يفيد بأنها جديرة بهذا الوصف، وفيه تقرير لتلك المعاني عن طريق اسم الموصول، وأداة الشرط (إذا) التي تدل على التحقق والتثبت، وحسن التقسيم بين الجملتين الذي يضمن لها التفوق والصدارة وإحراز السبق والظفر، فإذا هززته لم ينحن، وفي هذا دليل صلابته وصقله، وإذا طعنت به إذا اشتجر الدعاس لم ينكسر.

ثم يتوجه بالسؤال لأخيه قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: نِعْمَ الرمح نَعَتَ؛ وغيرُه أحبُّ إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الذَّابل العَسَّال، المُقَوَّم النَّسَّال، الماضي إذا هززته، النافذ إذا هَمَزْتَه.

يمتدح ربيعة ما قاله (عمرو) ويثني عليه حسنا في رضا وقبول(نعم الرمح نعت)، وفي تهذب وتلطف وحسن تأتٍ يقول في أدب ولين جانب(وغيرُه أحبُّ إليَّ منه)، فيثير دهشة وتعجب الوالد، فيدفعه للسؤال وما هو؟ بني ربيعة جوابه على معنى قريب من عمرو، فيدور معناه حول دقة الرماح وشدة اضطرابها واهتزازها ونفاذها في حالتي المضاء والنفاذ في صدور الأعداء.

فالعَسَّال: الشديد الاضطراب إذا هززته، ومقوم:رمح مسوي، والنسال قريب من العسال، ويعمد إلى تأكيد معنى شدة الاضطراب والنفاذ، وذلك بطريق القصر والشرط المتحقق الوقوع عن طريق (إذا) في الجملتين، وإثبات حالتين هما أخص خصاص الرماح شدة الاهتزاز والمضاء، وشدة النفاذ وسكون قلوب الأعداء، فأجاد وبرع في الوصف بجمل قليلة تؤدي معاني كثيرة، وهما في نفس المعنى الذي ذكره عمرو(هززته لم ينعطف، طعنت به لم ينقصف) إلا أن ربيعة اقترب أكثر من اشتجار الدعاس واعتكار الباس الذي ركز عليه والده في سؤاله فأصاب المحز.

ثم ينتقل بسؤاله الأخير لولديه عن أبغض الرماح، قال: فأخبرني يا عمرو عن أبغضِ الرماح إليك، قال: الأعْصَلُ عند الطّعان، المُثَلَّم السِّنان، الذي إذا هززته انْعطف، وإذا طعنت به انقصف، قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: بئس الرمح ذَكَر وغيرُه أبغض إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الضعيف المَهَزّ، اليابسُ الكَزّ، الذي إذا أكرهته انحطم، وإذا طعنت به انقسم، قال: انصرفا الآن طاب لي الموت.

يدور السؤال على أبغض الرماح، وهي عتاد المحارب وعدته، ولا يستغني عنها في أي مواجهة، فبني عمرو حديثه حول أبغضها، فاجتمعت كلها حول معاني عدم النفع في ساحات المعارك واشتداد الأزمات، حيث بدأ بـ (الأعْصَلُ) وهو الالتواء في الرمي، والتقييد بالظرف(عند الطعان) دلالة على شدة الحاجة إليه والاستعانة به دون سواه من أدوات المعركة حيث وقت اشتجار الدعاس، وصولة الحرب، ثم بني قوله الآخر على كمال الاتصال؛ لبيان استقلالها عما قبلها، والتأكيد على بغضها وعدم نفعها، فقال:(المُثَلَّم السِّنان) أي: الرمح الذي كُسِر حَرْفه، وسقط عمله، وهما أبغض ما في الرمح .

ثم يعود بالحديث على أبغضها عن طريق اللف والنشر، فعاد بالوصف عن طريق وصف حالته وفيه مزيد توضيح وبيان ودليل وبرهان وترسيخ صورته في ذهن المتلقي أنك إذا هززته انحني ومال عن القصد، وإذا طعنت به انكسر وتقصف، وهما يرتدان إلى مطلع حديثه(الأعْصَلُ– المُثَّلم)، وبناؤهما على الشرطية فيه دلالة على تحقق الوقوع ، ونتيجة حتمية لما مر ذكره قبل، ومجيء (انعطف– انقصف) على وزن(انفعل) جاء مطاوعًا للفعل (عطف– قصف) .

وضع هذا المعنى في مقابلة (إذا هززته لم ينعطف وإذا طعنت به لم ينقصف) لتري كيف يأخذ الأخ من أخيه ولا عيب في ذلك بغية الوصول إلى الحقائق الأكيدة ، والمحاورة الناجعة.

ثم يوجه الوالد السؤال لأخيه ما تقول يا ربيعة؟ وفيه تشوق وترقب لأوصاف أخرى تزيد من سعة ثقافته ومبلغ علمه، وأسلوب الذم في قوله: (بئس والله الرمح ذكر) تؤكد على شدة بغضه وكراهيته لهذه الرماح التي لا تشفى غليلًا.

وفى أدب وعلو ذوق تراه يعبر بقوله:(وغيره أبغض إلي منه)، فيزداد والده تعجبًا وتطلعًا وترقبًا، دفعه للتعجب قائلًا: وما هو؟ فأتي جوابه (الضعيف المَهَزّ، اليابسُ الكَزّ)

يأتي ربيعة على وصف للرمح غير أخيه حيث ترقي في التعبير، وجعل أبغض الرمح ضعيف الدفع في قوسه انقباض وضيق، ووقوع النعتين بلا فاصل

دلالة على شدة اقترابهما وتلاصقهما؛ لكمال الاتصال، فالضعيف يكون مهزًا ، والمهزّ لا يكون إلا ضعيفًا، ثم ألصق به وصفًا آخر دلالة على الانقباض والضيق، فجعل الرمح صلدًا فيه كزازة وعدم انبساط، ووقوعهما بلا فاصل دليل اقترانهما، فاليبس انقباض وصلابة، والكزازة انقباض وضيق فاجتمعا.

ويلحظ أن اليابس الكز مطابق لـ (المارن المثقف) في وصف أحب الرماح وإن كان اليبس صلادة غير أن المارن لين في صلابة، فالرمح صلابة مع لين ودقة واستواء، فانظر كيف ارتد الختام إلى مطلع حديثه عن أحب الرماح، فاجتمعا الضد مع الضد فظهر حسنه ونفاسته.

قوله:(الذي إذا أكرهته انحطم، وإذا طعنت به انقسم) التعبير باسم الموصول يفيد بأنه جدير بتلك الصفة البغيضة، ومن ثم فإذا أكرهته في ساحات الطعان على القتال انحطم لقلة حيلته وضعفه، وإذا طعنت به انقسم لشدة صلادته وشدة انقباضه، واللف والنشر يحيط بالمعنى من أوله وآخره، لتمكين تلك المعنى في النفس، على وجازتها وسيرورتها لترسخ في الوجدان، ويسهل حفظها.

ثم يختم الوالد حديثه مع ولديه بعد أن اطمئن عليهما، وكشف عن معدن براعتهما في العلم والأدب، وتيقن من بلاء عقولهما، وسعة معرفتهما، فقال في تثبتٍ ويقين، وأعلن نتيجة المحاورة بينه وبين أولاده بقوله: (انصرفا، الآن[1] طاب لي الموت).

(١)"الآن" ظرف مبني على الفتح، وظرفيته غالبة، وهو اسم للوقت الحاضر كله أو بعضه عند النطق به على حسب المقام. ضياء السالك إلى أوضح المسالك جـ١٦٣/٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد هذه التطوافة المتأنية حول حديث مقاول حمير مع ولديه، توصلت إلى هذه النتائج بفضل الله تعالي:

- الحوار الناجع هو الذي يحقق النفع والفائدة المرجوة منه، فبه تكتمل الرؤي وتتضح المفاهيم.
- أساس الحوار قائم على تأكيد مقولة:(وكانا قد برعا في العلم والأدب)، وقوله: (ليبلو عقولهما، ويعرف مبلغ علمهما).
- البراعة في العلم والأدب يكسبان المتلقي خبرة كبيرة في التعبير والرقي.
- الإيجاز والاختصار من أهم مميزات النثر الجاهلي.
- تأدية المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة ثمرة من ثمار بلوغهما في العلم والأدب مبلغًا عظيمًا.
- قيام المحاورة على الجمل القصيرة والعبارات البليغة؛ ليسهل حفظها وتستقر في الوجدان.
- طريقة المتحاورين جيدة للغاية تقوم على حسن تلطف، وبراعة استهلال، وحسن نظام.
- البناء المعماري في الحوار وترتيب الأسئلة أساس نجاح العربي القديم، فالرجال عماد المجتمع، والنساء شقائقهم وسندهم، وخيل وسيف ورمح يضمن لها عيشًا رغيدًا، وحياة سعيدة.
- كشف الحوار عن أهم وصف للرجل وهو الكرم ومنه يتفرع ويتشعب، وعن أخبث صفاته وهي البخل واللؤم، وكل ما جاء في وصفه منبثق منه ومنصرف إليه.
- جمع في صفات المرأة بين قيم أخلاقية وأخرى جمالية، حيث جمع بين عراقة الحسب والنسب وطيب المنبت ، وجمال المرأة المحسوس، فبهما يكتمل جمالها وحسبها ونسبها، ولا غني لأحدهما عن الآخر.

- أثمر الحوار عن قيم محمودة كالكرم والشجاعة والحلم والتكافل، وأخرى مذمومة كلعب الميسر، وشرب الخمر، والبخل والجبن.
- الإكثار من عبارات التلطف والرقى من جانب الأخوين، وذلك في قولهما:(نعت فأحسن- ما أحسن ما وصف-وغيره أحب إلي منه)، وهذا يدل على حسن تأدبهما، وبراعتهما وعلو ذوقهما في العلم والأدب.
- الاستفهام من جانب الوالد (ما تقول؟ -وما هو) يثير اهتمام السامع وإيقاظه بصورة أشد.
- ركز مقاول حمير على التفصيل في السؤال لولديه مرتين في حديثه عن (أحب الخيل، وأحب الرماح) وفي هذا دلالة على العناية بأمرهما، ودورهما الفاعل في أرض المعركة، فالخيل بداية الحرب، والرماح نهاية الطعن، في الخيل سرعة وعتق ونجابة ، وفي الرمح لين وصلابة، وقدوم ومهابة .
- التعبير باسم الموصول (الذي- التي) علامة واضحة على ضمان العمومية في الحوار، إلى صفة العموم فتعم الفائدة ويتسع المقام.
- تنوع صور الكناية في بيان صفات الرجال والنساء حيث شملت الكرم وما يضاده، وذلك في قوله:(العظيم الرماد- جعد البنان-البرم اللئيم)، وما يبثق من الكرم كالشجاعة في قوله:(الباسل الذواد- الصادر الوارد) وما يناله من سيادة وشرف كما في قوله:(الرفيع العماد- الراسي الأوتاد)، وكذلك في صفات النساء في قوله:(الهركولة اللفاء- العميمة الردف- الطفلة الكف- القاصرة الطرف).
- بناء الجمل على كمال الاتصال دلالة على شدة التقارب، وصلاحية كل جملة مستقلة عما قبلها تصلح للتعبير عنه، كما لوحظ وقوع النعتين بلا فاصل دلالة على شدة التصاقهما وقربهما، فالسيد جواد، والجواد سيدٌ، والبرم لئيم، واللئيم برمٌ، وأنه يتأتى منه الأمرين معًا كما في قوله:(الصادر الوارد) دلالة على الشجاعة وفرط الإقدام والمهابة.

- توظيف الوسائل اللغوية كالاستفهام واسم الفاعل والصفات والنعوت تزيد من حضور الشيء في نفس المتلقي، وتؤدى إلى الإقناع والإمتاع.
- قيام المحاورة على براعة الطباق، والمقابلة، والجناس، وحسن التقسيم، والسجع المتوازي بين الجمل، والتكرار على مستوى الحروف يحدث انتباهًا وبهجة وتطرية، وسهولة لحفظه وترسيخه في الوجدان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم معلم الناس الخير.

****

فهرس المصادر والمراجع

١- أخبار النساء لابن الجوزي، تح: الدكتور نزار رضا: دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان: ١٩٨٢م.
٢- أدب الحوار د/سعيد بن ناصر الشثري-كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ١٤٢٧هـ .
٣- أساس البلاغة الزمخشري جار الله، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٤- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم د/ عبد الحليم حفني، ط الثالثة- الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٩٥م.
٥- الأزمنة والأمكنة ت: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى،١٤١٧هـ.
٦- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أبو العباس أحمد بن محمد المقري، تح / مصطفى السقا وأخرين، القاهرة -١٩٣٩هـ .
٧- إصلاح المنطق ت: ابن السكيت، تح: محمد مرعب- دار إحياء التراث العربي ط: الأولى١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.
٨- البصائر والذخائر ت: أبو حيان التوحيدي، تح: د/ وداد القاضي- دار صادر- بيروت- ط الأولي، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٩- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ت/ محمود شكري الألوسي، ت/محمد بهجة الأثري ١٩٢٣م.
١٠-تاج العروس الزَّبيدي ،دار الهداية.
١١-تهذيب اللغة ت: أبو منصور الأزهري الهروي)، تح: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: الأولى،٢٠٠١م.
١٢-الكامل في اللغة والأدب للمبرد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي- القاهرة ط الثالثة/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٣-كتاب الصناعتين ت: أبو هلال العسكري، تح: على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العنصرية – بيروت.
١٤-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ت: الزمخشري جار الله ،دار الكتاب العربي- بيروت ط: الثالثة – ١٤٠٧هـ.
١٥- الأمالي ت: أبو على القالي، تح/ محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط: الثانية، ١٣٤٤هـ- ١٩٢٦م.
١٦-سحر البلاغة وسر البراعة، ت: أبو منصور الثعالبي، تح: عبد السلام الحوفي، دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان .
١٧- زهر الآداب وثمر الألباب ت: أبو إسحاق الحُصري القيرواني ، دار الجيل، بيروت.
١٨- الفروق اللغوية للعسكري تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة .
١٩-عيون الأخبار ت: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،دار الكتب العلمية -بيروت: ١٤١٨هـ.
٢٠- الاختيارين ت: على بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر ، تح: فخر الدين قباوة: دار الفكر، دمشق- سورية ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢١- شرح ديوان الحماسة ت: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
٢٢-شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل للأعلم الشنتمري- د/ حنا نصر الحتي ،دار الكتاب العربي ط الأولي ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٢٣-شَرْح شِعْر المُتَنبي- السفر الأول ت: إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن الإفْلِيلي ، تح:

د/ مُصْطفى عليان- مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ط: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٢٤-شرح صحيح البخاري لابن بطال، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٢٥-الجمالية(المفاهيم والآفاق والخصائص الأساس، ترجمة ثامر مهدي- دار الشؤون الثقافية العراق د.ت.
٢٦-الجود والبخل في الشعر الجاهلي د/ محمد فؤاد نعناع دمشق ط الأولي/١٩٩٤م.
٢٧-جمهرة الأمثال للعسكري ، الناشر: دار الفكر- بيروت.
٢٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ت: عبد القادر بن عمر البغدادي ، تح: عبد السلام محمد هارون: مكتبة الخانجي، القاهرة ط: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.
٢٩- ديوان الأسود بن يعفر تح/نور حمودي القيسي بغداد ١٩٦٨م.
٣٠- طرفة بن العبد، تح: مهدي محمد ناصر الدين: دار الكتب العلمية، ط: الثالثة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٣١-ديوان الأعشى الكبير محمد محمد حسين بيروت ١٩٨٣م.
٣٢ – ديوان امرِئ القيس ، عبد الرحمن المصطاوي دار المعرفة- بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م.
٣٣- ديوان جرير بن عطيه تح/ نعمان أمين طه ، القاهرة ١٩٧١م.
٣٤-ديوان زهير بن أبي سلمي شرح :على حسن فاتور-المكتب العلمي بيروت لبنان ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٣٥-ديوان مسكين الدارمي ، دار صادر بيروت ٢٠٠٠م.
٣٦-علم الجمال عبد الفتاح الديدي ،مكتبة الأنجلو المصرية١٩٨١م.
٣٧-العين ت: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال.

٣٨–ضياء السالك إلى أوضح المسالك ت: محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٣٩–طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تح: د/ إحسان عباس دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت/ لبنان ط: الثانية– ١٩٨٧م.
٤٠– لباب الآداب ت: أسامة بن منقذ الكناني، تح: الأستاذ/أحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة ط: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٤١–لسان العرب ابن منظور ،دار صادر– بيروت ط: الثالثة– ١٤١٤هـ.
٤٢– مجمع الأمثال للميداني النيسابوري ،تح: محمد محيى الدين عبد الحميد– دار المعرفة– بيروت، لبنان.
٤٣–معجم الفروق اللغوية للعسكري، تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ط: الأولى، ١٤١٢هـ
٤٤–معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس– لبنان بيروت ط٢ –١٩٨٤م.
٤٥– المفضليات للضبي تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ط: السادسة، دار المعارف– القاهرة .
٤٦– الميسر والقداح لابن قتيبة تح/ محب الدين الخطيب القاهرة ١٣٨٥هـ.
٤٧– من الأسرار البلاغية في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند توليه الخلافة أد/ سلامة جمعه دواد– مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود العدد الثالث والثلاثون– ١٤٤٢هـ–٢٠٢٠م .

فهرس الموضوعات

المسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٢٢٥٩
٢	التمهيد	٢٢٦٥
٣	المحور الأول: الحوار في النص ، نوعه وأسراره.	٢٢٦٦
٤	المحور الثاني: براعة استهلال في مقدمة المحاورة	٢٢٧٠
٥	المحور الثالث : بلاغة التعبير عن صفات الرجال .	٢٢٧٣
٦	المحور الرابع: بلاغة التعبير عن صفات النساء	٢٢٨٩
٧	المحور الخامس: بلاغة التعبير عن أوصاف الخيل	٢٣١١
٨	المحور السادس: بلاغة التعبير عن ألذ العيش.	٢٣١٩
٩	المحور السابع: بلاغة التعبير عن وصف السيوف	٢٣٢٤
١٠	المحور الثامن: بلاغة التعبير عن وصف الرماح.	٢٣٣٠
١١	الخاتمة	٢٣٣٤
١٢	فهرس المصادر والمراجع	٢٣٣٧
١٣	فهرس الموضوعات	٢٣٤١